Master Zero

ماستر زيرو 0

كتابة :

شهد الدسوقي

كل حقيقة

يوجد بها تعقيد

وكل شخص

لديه اسرار

فا كيف ستكشف الاسرار

المقدمة

في عالم تلتبس فيه الحقيقة بالخيال، حيث تتشابك الآلات مع السحر، وتنمو الظلال في كل زاوية من

زوايا المدن المستقبلية، يظهر هو: ماستر زيرو. رجل الغموض الذي لا يُعرف له ماضٍ ولا وجه، لكنه يملك قدرات خارقة تجعله خارج نطاق أي قانون أو نظام.
ماستر زيرو ليس مجرد قاتل متسلل أو مجرم عادي، بل هو رمز للقوة التي لا تُقهر، وللغموض الذي لا يُفسر. وراء عينيه تكمن أسرار تعصف بالعقول، وأسرار تهدد بزعزعة التوازن بين العوالم، بين الإنسان والآلة، بين الحقيقة والوهم.

في هذه الصفحات، ستغوص في أعماق معارك خفية، ومؤامرات معقدة، وحقائق مروعة لا يريد أحد أن يعرفها. هل تستطيع أن تفرق بين الصديق والعدو؟ بين الحقيقة والكذبة؟ وما الذي يجعل ماستر زيرو يتحدى العالم بأسره؟

استعد لتدخل عالمًا لا يشبه أي عالم آخر، حيث كل خطوة تخطوها تقربك أكثر إلى السر الأكبر، إلى قصة لا تنتهي إلا عندما تنكشف كل الألغاز.

سطح مبنى مهجور في قلب مدينة رمادية، حيث لا يصل ضوء الشمس بسبب الغيوم الاصطناعية التي تفرزها المصانع العتيقة.
منتصف الليل، والضباب كثيف لدرجة أن الأضواء تبتلع نفسها.

إيليا كانت واقفة هناك منذ نصف ساعة.
تنظر إلى ساعة يدها. كانت ترتجف... لكنها لم تكن خائفة.

ثم... سُمع صوت محرك ناعم، كما لو أن الموت يتسلّل على دراجة.

وقف الموتسيكل على بُعد عشرة أمتار منها.
ترجل الرجل منه ببطء.

يرتدي قميصًا أسود يُفتح من عند الياقة، وبنطالًا بنفس اللون، وساعة فضية تلمع كعين ذئب.
وجهه في الظل، لا تُرى ملامحه، فقط انعكاس الضوء على خصل شعره الناعم.

هو.

ماستر زيرو.

تكلمت إيليا أولاً، بصوتٍ هادئ... لكنه مشحون:

"ظننتك لن تأتي."

ردّ بدون أن يتقدّم، صوته عميق كصوت من خرج من قبر منذ دقائق:

"ظننتِ أنكِ أذكى من أن تطلبي لقائي."

اقترب خطوة.
مدّت يدها نحو سلاحها، لكنها لم تسحبه.

ابتسم قليلاً:

"لو أردت قتلك... لما كنتِ هنا لتتأملي الخطأ."

سألته وهي تراقب كل حركة من جسده:

"هل تعرف من أنا؟"

أجاب بلا تردد:

"أعرف ما تحاولين أن تكونيه."

صمت... ثم أضاف:

"لكن لا أحد يعرف من هو الآخر حقًا. حتى أنتِ."

اقترب خطوة أخرى.
أصبحت المسافة بينهما مترين فقط.

قالت بنبرة فيها شرارة تحدٍّ:

"أنا أعرفك يا زيرو. قتلت مئات. لكنهم لم يكونوا مجرمين دائمًا... أليس كذلك؟"

رفع رأسه قليلًا.
ظهر جزء من وجهه — عينه اليسرى. كانت هادئة... بشكل مرعب.

"بعض الحقائق لا تناسب الأحياء."

سألته بنبرة أهدأ:

"لماذا أتيت؟"

أجاب بعد صمت طويل:

"أردت أن أراك. أتحقق... هل ما زلتِ تشبهينها."

"من؟"

"لا يهم الآن. لقد ماتت."

نظرت إليه طويلاً. لم يكن قاتلًا فقط. كان... شيء آخر.

وسألت نفسها: هل يمكن أن يقتل أحدهم كل هذا... ويظل فيه ظل من بشر؟

همس زيرو، كأنه قرأ أفكارها:

"أحيانًا، نقتل لننجو. وأحيانًا... نقتل لننسى من كنا."

تقدّمت خطوة.

"وأنا جئت لأعرف من أنت."

اقترب هو أيضًا. بينهما الآن هواء فقط... وقرار.

"احذري يا إيليا...
المعرفة أثقل من الدم.
وأنا غارق فيه حتى اسمي."

الماضي: "الساعة التي توقفت في المقهى القديم"

خريف 1987
مقهى صغير على أطراف بلدة نائية، نوافذه مكسورة لكن رائحته تشبه دفء البيوت القديمة.

المطر كان خفيفًا، يلمس الأرض كأنه يعتذر.
الساعة على الجدار توقفت عند "4:17" منذ سنوات، لكن لا أحد في المقهى يهتم. حتى النادلة لم تعد تنظر إليها.

في الزاوية، جلس رجل يحمل حقيبة جلدية بالية.
يرتدي قميصًا رماديًا قديمًا ومعطفًا ثقيلًا... لا لأن الجو بارد، بل كأن الذكريات أثقل من الطقس.

اسمه: رائد.

يداه قويتان كمن اعتاد العمل اليدوي، لكن عيناه...
عيناه كانتا متعبتين من النظر إلى الأمام.

دخلت هي فجأة، ومع دخولها دخلت رائحة المطر والكتب القديمة.

سيرين.
امرأة في أواخر العشرينات، ترتدي فستانًا بسيطًا بلون الزيتون، وشعرها مربوط بشريط باهت. كانت تحمل دفترًا صغيرًا، كأنه مذكراتها... أو دليل نجاتها.

نظرت حولها، ثم جلست في الزاوية المقابلة لرائد، دون أن تلاحظ وجوده.

لكن هو لاحظ.

لاحظ الطريقة التي فتحت بها الدفتر...
وكيف لم تكتب فيه شيئًا، فقط نظرت إليه كما لو أن الكلمات خذلتها.

بعد دقائق من الصمت، كسر رائد الحاجز:

"لم تعد الأماكن هادئة كما كانت، إلا إن كان بداخلنا ضجيج لا يسكت."

نظرت إليه باستغراب بسيط، ثم قالت:

"أنت غريب."

"وأنتِ حزينة."

ضحكت لأول مرة، ضحكة قصيرة لكنها حقيقية.

"لا أحد يقول ذلك هكذا... مباشرة."

ردّ بابتسامة خفيفة:

"أحيانًا المباشرة أفضل من المجاملة."

سألها بعد لحظة:

"هل تنتظرين أحدًا؟"

هزّت رأسها:

"كنت أنتظر شيئًا. رسالة... فرصة... شخص يعيدني للوراء أو يدفعني للأمام.
لكن لا أحد جاء. فقط أنا."

أغلق رائد حقيبته ببطء.

"غريب... أنا كنت أهرب. من مكان كنت فيه شخصًا لا أعرفه."

سألته بنعومة:

"وهل نجحت في الهرب؟"

ابتسم بمرارة:

"الناس لا تهرب فعلًا. فقط تنقل أحزانها إلى أماكن جديدة."

سكتا.

ثم طلب لها فنجان قهوة من دون أن يسألها.
وحين وصلت، نظرت إليه باستغراب.

قال:

"المكان يعلم كل زائر ما يحتاجه."

قالت:

"وأنت؟"

"أنا؟ أحتاج أن أصمت... مع أحد لا يطالبني بالتفسير."

رفعت فنجانها، وهمست:

"إذًا... لنصمت سويًا."

مرّت ساعتان.

لم يتحدثا كثيرًا... لكن شعورًا دافئًا امتدّ بين طاولتيهما، مثل خيط لا يُرى.

وحين نهضت لتغادر، سألته:

"إن عدتُ لهذا المكان يومًا... هل سأجدك هنا؟"

قال:

"لا أعرف.
لكن إن لم تجديني... فقط انظري للساعة.
إن كانت تشير لـ 4:17... فأنا ما زلت هنا."

ابتسمت، ثم خرجت.

والمطر كان قد توقف.

بعد خمس سنوات...
عادت سيرين إلى نفس المقهى.
كانت الساعة ما زالت تشير إلى 4:17
لكن رائد لم يكن هناك.

فوجدت ورقة مطوية على الطاولة نفسها، مكتوب فيها:

"بعض اللقاءات لا تُعاد.
لكنّها تزرع فينا أشياء... تكبر حتى بعد أن نرحل."

غرفة صغيرة في نزل رخيص، ضوء أصفر خافت يتدلّى من السقف، والنافذة مفتوحة على شارع خالٍ.

رائد جلس على طرف السرير، حقيبته على الأرض، والدفتر الأسود الذي يدوّن فيه أفكاره مفتوح أمامه...
لكن يده لا تكتب.

كان يفكر بها.

صوت ضحكتها القصيرة،
نبرة صوتها حين قالت: "وأنت؟"
طريقتها في النظر للنافذة وكأنها تنتظر شيئًا من السماء.

لم يعرف لماذا ظلت صورتها عالقة في رأسه...
لكنها لم تكن فقط جميلة. كانت هادئة بطريقة تتركك في صمتٍ صاخب.

نظر إلى فنجان القهوة على الطاولة. لم يشربه.
كأن طعم كل شيء تغيّر بعد أن شربا القهوة معًا.

"لا أعرف إن كنتُ سأراها مجددًا...
لكن فكرة وجودها... كافية لتجعل هذا العالم أقلّ برودة."

شرفة منزلها، مساء، أوراق الشجر تتساقط، ورياح خفيفة تمرّ كما تمر الذكريات.

كانت تجلس بصمت، تحتسي الشاي من فنجان قديم، نفس الفنجان الذي ورثته من أمها.
الدفتر ما زال أمامها... لم تكتب فيه شيئًا منذ ذلك اللقاء.

تتذكر وجهه.
كأن عينيه كانتا تخبئان حربًا قديمة،
لكن طريقته في الحديث، وفي الصمت... كانت أحنّ مما توقعت.

همست لنفسها:

"لم يكن غريبًا...
كان مألوفًا كأنني عرفته منذ طفولتي، أو من حلم قديم."

مسحت صفحة في دفترها، وكتبت للمرة الأولى منذ أيام:

"رائد...
لا أعرف من أنت، ولا إن كنا سنلتقي.
لكنك تركت في قلبي شيئًا... يشبه بداية قصة."

"بيت الرماد" (منظمة السحر القاتل)

مجمّع تحت الأرض يُعرف باسم "بيت الرماد"، يقع أسفل أنقاض دير قديم محظور، في منطقة لا تظهر على أي خريطة.

ليلاً، قرب منتصف الليل.

كان الهواء هناك لا يُستنشق، بل يُقاتل.
رائحة الدم والحديد والبخور الخانق تتصاعد من ممرات طويلة، جدرانها محفورة بنقوش سحرية بلغة منسية.

على أحد الجدران كتبت عبارة بالدم:

"الروح لا تُحرر، بل تُخضع."

في غرفة دائرية، أضاءت ألسنة لهب سوداء لا حرارة لها، لكنها تكوي من يقترب.
وسط الدائرة، يقف خمسة أشخاص بثياب رمادية، أقنعتهم تغطي وجوههم إلا من العينين — عيون كأنها ميتة منذ الولادة.

وفي المنتصف، كانت الضحية.

طفل صغير، لا يتجاوز السابعة، مقيّد بسلاسل سحرية، يرتجف من البرد والخوف.

أحد القتلة قال بصوت بلا عاطفة:

"ليس هذا عن الطفل. بل عن ما نحرقه فينا لنصبح أقوى."

الآخر تمتم تعويذة بلغة لا تنتمي للبشر.

في لحظة، ارتفعت أرواح ثلاث ضحايا سابقة في الغرفة، تصرخ بصوت لا يُسمع إلا داخل العظام.
تحلّقت الأرواح حول الطفل، تُسحب منها القوة وتُغرس في الرمز الذي يُرسم على الجدار: "العين السابعة."

امرأة بينهم، تُعرف بـ"السيدة الخامسة"، وضعت يدها على جبهة الطفل، وهمست:

"كنا مثلك...
ثم اخترنا أن لا نموت ضعفاء."

ثم... صمت.

صرخة، ثم ظلام.
اختفى كل شيء.
بقي فقط دم الطفل على الأرض، يتّخذ شكلاً يشبه خريطة.

في ممرٍ مجاور، جلس شاب بعين واحدة، يراقب بصمت.

لم يكن مثلهم. لم ينطق بكلمة.
كان اسمه فقط رمزًا: X-0.

عينه الوحيدة رمادية باهتة. قلبه مات منذ أن دخل "بيت الرماد".

لكنه الليلة، شعر بشيء لم يشعر به منذ سنوات.

ندم؟
لا.
غضب؟
ربما.

خيانة.
كأن جزءًا منه تذكّر أنه لم يولد ليفعل هذا.

همس لنفسه:

"إن خرجتُ من هنا حيًّا... فلن أنسى وجه هذا الطفل."

ثم نظر إلى السقف المغطى بالظلال، وقال:

"وسأحرق كل من اعتقد أنه إلهٌ على الأرض."

"الغرفة رقم 13"

بعد أن خمدت أصوات الأرواح، عادت الغرفة الدائرية إلى سكونها.
الرموز الدموية على الجدار بدأت تلمع بلون رماديّ باهت، إشارةً إلى نجاح الطقس.

السيدة الخامسة كانت تمسح دم الضحية من يدها كأنها تغسل بقعة شاي.
بقيّة الحاضرين انحنوا أمامها بصمت، ثم تفرقوا كما تتفرّق الذئاب بعد الوليمة.

في الظل، ظل X-0 واقفًا خلف أحد الأعمدة.
يعلم أن الوقت ليس مناسبًا للتمرد...
لكن قلبه – أو ما تبقى منه – نبض بشيء قديم: اشمئزاز.

في تلك الليلة، لم يعد إلى عنبر نومه مثل المعتاد.

بل تسلل إلى الغرفة رقم 13 — غرفة مغلقة لا يُسمح بدخولها إلا لمستويات "الذروة".
فيها تحفظ المنظمة وثائق وتجارب تخصّ "الدمى"، أولئك الأطفال الذين تم استخدامهم مرارًا في الطقوس حتى فقدوا هويتهم.

فتح الباب بهدوء، باستخدام رمز سريّ تعلّمه من مراقبته الطويلة للسيدة الخامسة.
المشهد داخله كان جحيمًا.

أطفال مُعلّقون بأنابيب، أجسادهم شاحبة، عيونهم زجاجية...
واحد منهم كان ما يزال يتنفس.
همس الطفل، دون أن يفتح عينيه:

"أريد... أن... أخرج... من... هنا..."

تجمّد X-0.
اقترب من الطفل، جلس أمامه، وأمسك يده الصغيرة المرتجفة.

"ما اسمك؟"

لم يُجِب الطفل... لكنه دمعت عينه اليسرى.

هنا شعر X-0 بشيء يتكسر داخله.

هل كنتُ أنا هذا الطفل... منذ زمن؟

ثم همس بصوت أقرب للدعاء:

"سأخرجك... وسأخرج نفسي."

وقبل أن يتحرّك، سمع صوت الخطى خلفه.

استدار فورًا.

السيدة الخامسة... كانت واقفة هناك.

نظرت إليه بلا ذهول، كأنها كانت تنتظر ذلك منه منذ وقت.

قالت ببرود:

"كنت أعلم أنك مكسور. كنتُ فقط أراقب متى سينكسر الغطاء."

رفع يده ببطء، كأنه سيهاجمها... لكن عينها لم ترفّ.

قالت بهدوء:

"اقتلني الآن... أو عُد إلى قفصك."

كان الصمت بينهما أشد من السحر.

فجأة... انطفأت الأنوار، وتردّد صدى انفجار خافت من جهة الممرات البعيدة.

صوت صفارات الإنذار السحرية بدأ بالتصاعد.

X-0 نظر حوله.

ها هو الفُرصة.

ربما أحد المتمردين هاجم بيت الرماد من الخارج... أو ربما حان موعد انهيار داخلي.

قال في نفسه:

"هذه لحظة الخلاص..."

نظر للطفل المتنفس الوحيد، ثم لوجه السيدة الخامسة، وقال بصوت بارد كأنما ولد من رماد:

"لن أقتلك.
بل سأجعلكِ تعيشين لترين هذا البيت يحترق... حجراً حجراً."

ثم ركل إحدى الأسطوانات السحرية، أطلق طيفًا ناريًا زجاجيًا شتت السيدة للحظة، وحمل الطفل بين ذراعيه.

واندفع في ممرات "بيت الرماد"، بينما الجدران تهتز والسحر يتصدع.

✨ خارج "بيت الرماد" – بعد ساعة

جلس X-0 خلف جدار حجري في الغابة، الطفل بين ذراعيه، وأنفاسه متقطعة.

نظر للسماء لأول مرة منذ شهور...
كانت ملبّدة، لكن فيها نجمة واحدة تلمع.

قال بصوت مبحوح:

"من هنا... سأبدأ."

"لقاء على الهامش"

مقهى صغير في ركن هادئ من المدينة، قرب حديقة نائية.
: عصر يوم رماديّ، السماء ملبدة بغيوم خفيفة، والهواء عليل.

رائد كان يجلس وحده، مجددًا. كتاب نصف مفتوح أمامه، وكوب قهوة بدأ يبرد ببطء.
لم يكن يقرأ. فقط... يتظاهر.

كان هناك شيء ناقص في يومه. أو ربما، شخص ناقص.

ثم... سمع الخطوات.

رفع عينيه، دون توقع.

هي.

دخلت المقهى بخطى هادئة، كأنها تبحث عن مكان لا عن شخص، لكن عينيها توقفتا عليه فجأة.

الدهشة برقَت في عينيها، لكنها لم تكن صاخبة.
وكأنها كانت تتوقّع أن تراه هنا، رغم أنها لم تخطط لذلك.

ابتسمت، تلك الابتسامة الخفيفة التي لا تتغير.

اقتربت، ولم تطلب الإذن. جلست على الطاولة المقابلة بهدوء.

سيرين:
"هل تُمانع؟"

رائد:
(نظرة خفيفة، ابتسامة بالكاد تُرى)
"أبدًا. يبدو أن هذا المقهى يهوى الجمع بين الغرباء."

سيرين:
"الغرباء؟ لستُ متأكدة أننا ما زلنا كذلك."

رائد:
"هممم... ربّما لا. لكننا ما زلنا لا نعرف شيئًا حقيقيًا عن بعضنا."

صمت.

هي رفعت نظرها نحوه، بعينين لا تزالان تبحثان عن شيء لم يُقال.

سيرين:
"ولهذا أنا هنا. أريد أن أعرف.
لا أدري لماذا... لكنك تشبه فصلًا نُزعت منه الصفحة الأولى."

ضحك بخفّة، لكنها كانت ضحكة حزينة بعض الشيء.

رائد:
"ربما تمزقت تلك الصفحة عمدًا."

سيرين:
"وأنا... أحب أن أجمع القصص الممزقة. هذا ما أفعله، حتى قبل أن أعي."

أطال النظر إليها هذه المرة.

لم تكن فضولية كمن يريد فضح الأسرار، بل كانت صادقة بشكل نادر... كأنها تريد أن تفهمه لا لتحكم عليه، بل لتقترب.

رائد:
"إن عرفتِ... قد لا يعجبكِ ما ستسمعين."

سيرين (نظرة ثابتة):
"أنا لا أبحث عن شخص يعجبني، بل عن شخص حقيقي."

طأطأ رأسه قليلاً، شعره انسدل على جبينه، ثم قال:

"حسنًا... كنت أعيش في مدينة أخرى.
عملت في أمور كثيرة... بعضها نظيف، وبعضها... ليس تمامًا.
هربت من أشياء كثيرة... لكنني لم أهرب من نفسي.
كنت أبحث عن لحظة واحدة... أتنفّس فيها وأشعر أنني لست مطاردًا."

سيرين:
"هل ما زلت مطاردًا؟"

رائد:
"ربما أقل... لكنني ما زلت أركض."

لحظة صمت.

سيرين همست:
"وأنا... كنت أبحث عن قصة لا تشبه أي شيء قرأته.
قصة تبدأ بصمت رجلٍ غريب في زاوية مقهى."

نظر إليها.

ابتسم.

رائد:
"وفي هذه القصة... ما النهاية المتوقعة؟"

سيرين:
"لا أعلم.
لكني أفضّل القصص التي تُكتب سطرًا بسطر... مع القهوة."

رفعت فنجانها، طلبت قهوة.
هو طلب قهوة أخرى أيضًا.

جلسا لساعات يتحدثان.

عن الأشياء الصغيرة. عن الكتب. عن الأحلام. عن الرحيل. عن المعنى.

ولأول مرة منذ زمن...
رائد شعر أن أحدًا يريد أن يعرفه، لا أن يُصلحه.

مكتب التحقيقات الجنائية - مساءً

جلس رائد خلف مكتبه، يعبث بفنجان القهوة الذي بدأ يبرد. أمامه ملفٌّ ضخم يحتوي على صور الأطفال المختطفين، وتقارير المخابرات عن المنظمة السرية التي تقف وراء هذه الجرائم.

قال رائد بصوت متعب لكنه حازم:
"هذه المنظمة لا تترك أثرًا واضحًا... ولكن يجب أن أجد نقطة ضعفهم، مهما كلّفني الأمر."

نظر إلى صورة طفل صغير، وعيناه تملؤهما الحزن.

تحدث لنفسه:
"لن أسمح لهم بسرقة طفولة أو حلم واحد."

رنّ الهاتف فجأة، فأمسك به على الفور.

قال رائد:
"رائد يتحدّث."

ردّ صوت هادئ وغامض من الطرف الآخر:
"إذا أردت أن تجد الأطفال، تعال إلى الورشة المهجورة في حي الصناعات، ولكن تعال وحيدًا."

أغلق رائد الهاتف، وازداد جدّيّته.

قال لنفسه:
"هذه فرصتي الوحيدة... يجب أن أكون حذرًا."

وقف، أخذ مسدّسه، وانطلق مسرعًا خارج المكتب، مستعدًا لدخول قلب المنظمة.

غرفة المعيشة في منزل هادئ - مساء

تجلس سيرين في أريكة مريحة، تلفّها بطانية دافئة. الغرفة مضاءة بضوء خافت من مصباح الطاولة، وفي الزاوية، تلفاز قديم يعرض فيلمًا بالأبيض والأسود.

تتقدم يدها نحو كوب شاي على الطاولة الصغيرة بجانبها، ترفع الكوب ببطء وتحتسي رشفة هادئة بينما عيناها تركزان على الشاشة.

على الشاشة، تُرى مشاهد كلاسيكية من فيلم درامي قديم، الموسيقى الناعمة تملأ المكان بصدى من الماضي.

تتنهد سيرين بابتسامة هادئة، تتذكر ربما أيامًا بعيدة أو لحظات من حياة أخرى.

تغمض عينيها للحظة، ثم تفتحها مجددًا لتتابع الفيلم، تغمرها لحظة من السكون والحنين.

تجلس سيرين على الأريكة ملفوفة ببطانية دافئة، أمام تلفاز قديم يعرض فيلمًا بالأبيض والأسود. تحمل كوب الشاي بيدها وترمش ببطء بينما تتأمل الشاشة، لكن عينيها تبتعدان عنها.

تغمض عينيها للحظة، ثم تفتحها وكأن أفكارها قد سارت بعيدًا.

تهمس لنفسها بهدوء:
"رائد... أتمنى أن أقترب منه أكثر، أن أفهمه، أن أكون له عونًا في هذا العالم القاسي."

تتوقف عن الكلام فجأة، وتسمع صوت خطوات صغيرة تقترب.

فتاة صغيرة تظهر عند مدخل الغرفة، تنظر إليها ببراءة.

الفتاة (بصوت ناعم):
"هل يمكنني الجلوس معك؟"

تبتسم سيرين بحنان، وتفتح ذراعيها.

سيرين:
"بالطبع يا صغيرتي، تعالي."

الفتاة تجلس بجانب سيرين، تمسك بيدها الصغيرة بحنان. صوت الفيلم القديم يدور في الخلفية بهدوء.

الفتاة:
"سيرين، لماذا تبدين حزينة؟"

سيرين (تبتسم ابتسامة حزينة):
"ليس الحزن، يا صغيرتي... فقط أفكر في صديق مهم لي، اسمه رائد. أريد أن أكون قريبة منه، لكن الأمر ليس سهلاً."

الفتاة:
"هل هو وحيد؟"

سيرين:
"نعم، كثيرًا ما يشعر بالوحدة، رغم كل قوته. أحيانًا يحتاج إلى من يفهمه."

الفتاة:
"أيمكنني مساعدتك؟ ربما أكون صديقته."

سيرين تمسك يد الفتاة بحنان أكثر، وعينيها تلمعان بفضل الأمل.

سيرين:
"شكرًا لك، يا عزيزتي. وجودك بجانبي يجعلني أشعر أنني لست وحدي."

ابتسمت الفتاة، ونظرت إلى الشاشة مجددًا حيث استمر الفيلم بأجوائه الحالمة.

غرفة مظلمة داخل مقر المنظمة السرية

تُضاء الغرفة بضوء خافت ينبعث من مصباح معلق بالسقف، تبرز جدرانها المعدنية الباردة. في وسط الغرفة، يجلس طفل صغير مربوط اليدين إلى كرسي معدني. وجهه مغطى بالدموع، وصوته يرتجف من الألم.

يرتدي أحد أعضاء المنظمة زيًّا داكنًا وقناعًا يخفي وجهه بالكامل. يمسك بأداة حادة، ينظر إلى الطفل ببرود.

العضو (بصوت منخفض وقاسي):
"أخبرنا أين تختبئ الفتاة الأخرى، ولا تجرّب المقاومة."

يرتجف الطفل، يحاول الصمود لكنه غير قادر على مقاومة الألم والخوف.

تدخل امرأة ذات ملامح صارمة تحمل جهازًا صغيرًا ينبعث منه وميض كهربائي، تقربه ببطء من جسد الطفل.

الطفل يصرخ، لكن صوت صراخه يُخمد بالصمت المطبق في الغرفة.

يخرج العضو سلاحًا معدنيًا، ويبدأ بتحريك الأداة فوق ذراع الطفل، محدثًا ألمًا لا يُطاق.

يتوقف فجأة، وينظر إلى الطفل في عينيه، متابعًا بحزم:
"آخر فرصة... تعاون، وإلا ستتكرر."

تتلاشى أصوات الصراخ تدريجيًا، وتعود الغرفة إلى هدوئها القاتل.

الغرفة مظلمة، ولا تسمع سوى أنفاس الطفل المرتجفة وصدى قطرات ماء تسقط على الأرض الباردة. الطفل مربوط بأصفاد حديدية، جسده صغير واهن لكنه يقاوم الألم بشجاعة غير متوقعة.

يرتدي أحد أفراد المنظمة قناعًا أسود، يحمل جهازًا معدنيًا يصدر صوتًا عاليًا يشبه الصرير. يضع الجهاز على ذراع الطفل، ويبدأ في إصدار تيارات كهربائية قوية.

يصرخ الطفل بألم، يحاول أن يقاوم لكنه يتلوى بقوة الألم، وجهه محمر ودموعه تتدفق.

العضو (بصوت بارد):
"لن نوقف حتى تقول الحقيقة... أين هم؟"

يقترب عضو آخر، يحمل عصا معدنية ويبدأ بضرب الطفل على ظهره بلطف في البداية، ثم تزيد الضربات تدريجيًا.

يتردد صوت الطفل بين الألم والخوف، لكنه يبقى صامتًا.

تدخل امرأة ذات ملامح قاسية تحمل زجاجة تحتوي على سائل غير معروف، ترش بعضًا منه على جسد الطفل، مما يسبب له حرقًا شديدًا.

يرتجف الطفل، يحاول أن يصرخ لكنه يكاد يفقد صوته.

يبتسم العضو القناع ببرود:
"هكذا ستتحدث، أو ستظل تعاني."

تسقط دموع الطفل، لكن عينيه تلمعان بالعزيمة.

الضوء خافت، والجدران مغطاة برطوبة باردة. الهواء يعبق برائحة الخوف والألم. في ركن الغرفة، مجموعة من الأطفال مربوطون بأغلال خشنة، عيونهم ممتلئة بالدموع والرعب.

تدفع امرأة بملامح صارمة باب الغرفة، تتبعها عدة رجال ملثمين يحملون أدوات تعذيب باردة وقاسية.
يقتربون من الأطفال بلا رحمة.

ترفع المرأة صوتها بتعليقات قاسية، تصرخ في وجه أحد الأطفال الصغار الذي يحاول أن يختبئ وراء آخر.

المرأة (بصوت بارد):
"كفى تمردًا! من الآن ستخضعون لنا، وإلا... ستكون النهاية."

يمسك أحد الرجال عصا معدنية، يضرب طفلًا على ظهره بقوة، ليسقط الطفل صامتًا تحت وطأة الألم.

في زاوية أخرى، تُجر طفل صغير إلى غرفة مجاورة حيث تُسمع صرخاته تتصاعد، ثم فجأة تتوقف.

الدموع تتدحرج على وجوه بعض الأطفال، لكنهم يصمتون، محاولين إخفاء خوفهم عن الآخرين.

رائحة الدم والدخان تملأ الأجواء، صوت التنفس المتقطع يعلو، والغرفة تغرق في ظلام أكثر كثافة.

تتنقل الكاميرا بين وجوه الأطفال، كل واحد يحمل قصة من الألم والأمل المكسور.

الغرفة الثانية، الأعمق في مقر المنظمة، لا يدخلها الضوء إلا عبر مصباح واحد يتدلّى من السقف كأنه مشنقة. طاولة معدنية ممدد عليها صبي في العاشرة، يرتجف جسده تحت أربطة جلدية تُقيّد حركته بإحكام.

الجلاد الأول يقف إلى جواره، يحمل بيديه إبرة طويلة متصلة بأنبوب رفيع. الإبرة لا تُستخدم للدواء، بل لغرس مادة تسبّب هلوسات مرعبة تجعل الطفل يصرخ من أشياء لا يراها أحد.

يبدأ الطفل بالارتجاف، ثم يصرخ وهو يتوسّل، عيناه تتسعان وهو يصرخ بأسماء لم يسمعها أحد، يرى النار على جدران الغرفة، يعتقد أن الأرض تبتلع جسده. الجلاد يبتسم، ويتابع تدوين الملاحظات.

في زاوية أخرى، يقف طفلٌ آخر عاري القدمين في غرفة جدرانها تصدر أصواتًا منخفضة تُعيد صدى صراخه كلما نطق بكلمة، فيشعر أنه محاط بمئات الأشباح. أرض الغرفة مغطاة بطبقة نحاسية موصولة بمصدر كهربائي، تُفعّل كل بضع دقائق لصعقة قصيرة مفاجئة تُجبر الطفل على البكاء.

المرأة المسؤولة عن التعذيب تدخل، تشير إلى أحد المساعدين بجلب "الكرسي العكسي" – وهو مقعد يوضع فيه الطفل مقلوب الرأس، ويُغمر رأسه تدريجيًا في وعاء ماء لا يُغرقه بالكامل، لكنه يزرع في عقله كل فكرة عن الغرق.

الطفل يصارع الهواء، يضرب بقدميه، لكنه مكبّل.

من غرفة مجاورة، يُسمع صوت طفل يردد كلمات بصوتٍ مبحوح:
"لن... أتكلم... لن أقول شيئًا..."

في هذه الغرفة، يواجه أحد الأطفال أسلوب التعذيب النفسي: يوضع أمامه مرآة مشوهة يرى فيها وجهه مشوّهًا، ويُسمع تسجيلات لأصوات أطفال يبكون من غرف أخرى وكأنهم يُقتلون واحدًا تلو الآخر.

المنظمة لا تسعى فقط لإيذاء الجسد، بل لكسر العقل والهوية.

المقر الداخلي للمنظمة – الساعة 3:46 فجراً

الإنذارات تعوي في أرجاء الممرات المعتمة. أضواء حمراء متقطعة تومض في الجدران المعدنية كأنها نبضات قلب يحتضر. الكاميرات تدور ببطء، لكن أحدها يتوقف فجأة ـــ مشوشة، كما لو أن شيئًا أخمد رؤيتها عمدًا.

إكس زيرو يركض، معطفه الطويل يرفرف خلفه، وجهه مغطى جزئيًا بقناع أسود يحمل آثار دم ناشف. أنفاسه متسارعة، لكنها صامتة. في عينيه توهج باقٍ من الغضب القديم... والتصميم.

في يده اليمنى جهاز تشويش صغير يرسل موجات متقطعة تمنع أجهزة المراقبة من تتبعه. في اليسرى، سكين قصيرة مغطاة بطبقة رقيقة من سائل قاتل، كان قد انتزعه من أحد عملاء المنظمة الذين سقطوا أثناء محاولته للهرب.

صوت آلي يعلو في الممرات:
"تنبيه. وحدة X-0 مفقودة. إغلاق جميع المخارج. إطلاق البروتوكول الأسود."

يركض زيرو في ممر ضيق، يتوقف فجأة عند جدار معدني. يخرج من جيبه بطاقة مشفّرة، يمررها، لكن الضوء يبقى أحمر. يغمض عينيه لحظة... ثم يضرب لوحة التحكم بضربة مركزة من كفه المليء بالطاقة، فتنفجر الشرارات وتنفتح البوابة ببطء.

وراء الباب، سلم حلزوني ضيق يقود نحو أسفل... لكنه يعرف أن الحرية ليست للأعلى، بل في أعمق نقطة من الجحيم.

زيرو (بصوت داخلي):
"الطريق إلى الخارج يمر من قلبهم... من مركز عملياتهم... من حيث يُولَد الألم."

ينزل بسرعة، خطواته لا تصدر أي صوت، كما لو أنه شبح.

في الأسفل، يعبر قاعة شبه مظلمة، تتدلّى من سقفها أجساد معلقة بأربطة، ضحايا سابقين لم يعودوا يتحركون. زيرو لا ينظر إليهم... لكنه يشعر بهم في عمق صدره.

تقترب منه إحدى الحارسات — ضخمة، مسلحة، عيناها زجاجيتان.
تتجه نحوه بسرعة، لكنه ينحرف فجأة، يركض على الجدار، ثم يقفز فوقها، يطعنها في الرقبة بحركة واحدة، صامتة.

يسقط جسدها بلا صوت. يواصل الركض.

أخيرًا يصل إلى بوابة فولاذية مهولة. من خلفها، رائحة التراب... الهواء الحقيقي. يمد يده إلى لوحة جانبية، يركب كودًا لم يُستخدم منذ سنوات، كود أعطاه إياه رجل عجوز ذات ليلة حين كان لا يزال طفلاً... مجرد طفل.

صوت اهتزاز عميق يملأ القاعة، والباب يبدأ بالانفتاح ببطء.

من الخلف، أصوات إطلاق نار. صرخات. أحدهم اكتشف طريقه.
لكن زيرو لا يلتفت.

زيرو (بهمس):
"لن أعود. لا اليوم... ولا في الأحلام."

يركض خارج البوابة، يبتلعه الضباب والليل.

بينما كان الباب الفولاذي ينفتح ببطء، سمع زيرو صوت بكاء خافت يأتي من فتحة جانبية في الجدار. تردد جزء من الثانية. لم يكن ذلك في خطته. لكنه استدار، واتبع الصوت.

فتح الباب المعدني الصغير بجانبه، ليجد نفسه في غرفة تخزين ضيقة، تتحوّل أحيانًا إلى سجن جانبي. فيها أربعة أطفال، بالكاد يستطيعون الوقوف. وجوههم شاحبة، أقدامهم حافية، أجسادهم مغطاة بالكدمات.

أحد الأطفال حدّق به بعينين واسعتين، ثم تمتم بصوت خافت:
"هل... هل أنت حقيقي؟"

إكس زيرو (بهدوء، بصوت منخفض يشبه الوعد):
"أنا هنا... ولن أترككم."

لم يتردد. سحب قفازًا من جيبه، وضعه على القفل الإلكتروني الصدئ، فأطلق موجة قصيرة من نبض الطاقة، فانفتح الباب واندفعت رائحة العفن والبؤس.

انحنى لهم، نظر في أعينهم.

زيرو (بحسم):
"الآن، اتبعوني. لا تصدروا أي صوت، مهما حدث."

كان الطفل الأصغر غير قادر على المشي، فحمله زيرو على ظهره، وربط ذراعيه حول رقبته. الآخرون تبعوه بتردد، لكنهم وجدوا في خطواته إيقاعًا مختلفًا... فيه أمل، وقوة.

عاد بهم إلى البوابة المفتوحة. صدى إطلاق النار يتردد خلفهم، وصوت الصراخ يتصاعد. أحد الحرّاس ظهر فجأة عند رأس الممر، شاهَدهم، ورفع سلاحه.

لكن زيرو كان أسرع.

رمى خنجره الصامت، فأصاب الحارس في عنقه. لا صوت، فقط سقوط.

ركضوا.

المشهد التالي: أرض فضاء خلف المقر، في العراء البارد، تحت القمر الرمادي

الأطفال يتنفسون الهواء الحقيقي لأول مرة منذ شهور... أو ربما سنوات. سعل بعضهم، أحدهم سقط على ركبتيه يبكي. زيرو نظر إليهم، شعر بشيء في صدره يتحرك. شيء لم يشعر به منذ زمن بعيد.

لم يكن انتصارًا بعد، لكنه بدأ.

زيرو (يهمس بصوت أجش وهو ينظر إلى البوابة خلفه):
"هذا جيل لن يُكسَر... وسأقودهم للخلاص."

ابتعد بهم عن المبنى، متجهًا إلى الظلام... نحو المجهول، لكن بعيدًا عن الجحيم.

المقهى نفسه – الساعة التاسعة مساءً

المكان كما هو... لا يتغير. ذات الأضواء الخافتة المعلقة كحلمٍ نصف منسي، وذات الطاولات الخشبية التي تحمل آثار الزمن في حوافّها المهترئة. جلس رائد في الزاويةٍ القصية، مكانه المعتاد، وظهره إلى الجدار كما اعتاد منذ سنوات عمله كمحقق. فنجان قهوته يبرد أمامه، لم يذق منه شيئًا.

كانت نظراته غائبة، معلّقة في نافذة الزجاج المكسو ببخار خفيف من المطر الذي بدأ للتوّ بالخروج من رحم الغيم. الشوارع في الخارج خاوية تقريبًا، وكأن المدينة كلها تنتظر لحظة لم تأتِ بعد.

أشعل سيجارة، ناداه النادل باسمه لكنه لم يجب. كان غارقًا.

رائد (في نفسه):
"كل الخيوط تؤدي إلى العدم... المنظمة لا تترك أثرًا، والملفات تُحرق قبل أن تُكتب... الأطفال يُختفون وكأنهم لم يولدوا أصلًا."

ضغط على صدغيه بأصابعه. الرأس مثقل. العيون متعبة.
أعاد تشغيل تسجيل صوتي على هاتفه ـــ صرخة قصيرة لطفل، ثم ضوضاء، ثم صمت. ضغط زر التوقف، وأغلق الجهاز.

ثم... هبطت الفكرة على قلبه مثل ومضة. سيرين.

لماذا تعود صورتها في مثل هذه اللحظات؟
كان يراها كجزء من لغزٍ آخر، جزء لا يريد تفكيكه... أو يخشى أن يفعل.

رائد (بهمس شبه ساخر):
"امرأةٌ مثلها، لا ينبغي أن تُحب رجلًا مثلي."

مرّت لحظة من الصمت. فجأة... فُتح باب المقهى.

دلفت سيرين، ترتدي معطفًا رماديًا، شعرها منسدل على كتفيها، ووجهها مضاء بنور الشارع المنعكس على المطر. تقدّمت بخطى ثابتة، ونظراتها تبحث عنه كما لو أنها تعرف أنه سيكون هناك.

لما وقع بصرها عليه، ابتسمت بتردّد، وتقدّمت نحوه.
نهض رائد تلقائيًا، حائرًا بين الترحيب والتراجع.

سيرين (بصوت ناعم):
"أتعترض إن جلست؟"

رائد (يشير إلى الكرسي):
"بالطبع لا... تفضّلي."

جلست قبالته. لحظة صمت طويلة، فقط صوت قطرات المطر، وأنفاسهما المتشابكة.

سيرين:
"أتيت دون موعد... لكني تعبت من الانتظار."

نظر إليها، لم يقل شيئًا.

سيرين (تنظر إلى فنجانه):
"قهوة باردة... تشبهك."

ابتسم بخفة، ثم تنهد.

رائد:
"أنا؟ بارد؟"

سيرين (تحدّق فيه):
"لا... فقط متعب. مكسور من الداخل، تحاول أن تخفيه خلف قناع من الحديد."

أشاح بوجهه نحو النافذة. أصابت كلمتها شيئًا داخله لم يلمسه أحد من قبل.

رائد:
"الحياة لا تترك لي وقتًا لأكون غير ذلك."

سيرين:
"لكنني أراك كما أنت... ليس كما تحاول أن تكون."

سكتت لحظة، ثم أخذت نفسًا عميقًا.

سيرين (بصوت مرتجف قليلًا):
"رائد... جئت لأقول شيئًا، ربما لا يجدر بي قوله، وربما تأخّرت. لكن... أنا أحبك."

انحبس الهواء في صدره.

سيرين (تواصل بصوت أهدأ):
"أحببتك بصمت، وسط صراخ هذه المدينة. أحببت نظراتك حين تغيب، وصمتك حين تتكلم. أحببت فيك الرجل الذي لم يطلب شيئًا، لكنه يستحق كل شيء."

نظر إليها، هذه المرة مباشرة. لم يكن يعلم ما يقول.

رائد:
"سيرين... أنا... لا أملك قلبًا يسع الحب الآن. كل ما في داخلي يحترق."

سيرين:
"أنا لا أطلب منك شيئًا... فقط أردت أن تعرف."

خفضت نظرها إلى الطاولة، صوت المطر يعلو.

رائد (بصوت خافت):
"وهل ستبقين، رغم الحريق؟"

سيرين (تنظر إليه من جديد):
"إن احترقت معك... فذلك أهون من أن أعيش دونك."

امتدت يدها على الطاولة، فتردّد لحظة، ثم مدّ يده إليها... كان الارتباك واضحًا، لكنه ترك أصابعه تلامس يدها، ولو للحظة قصيرة.

الوقت تجمّد حولهما.
في الخارج، المطر لا يزال يهطل.
وفي داخل المقهى... كانت بداية لشيء آخر، أخطر من كل القضايا.

منزل رائد – الساعة الحادية عشرة والنصف ليلًا

ساد الهدوء في المدينة، والمطر يهمي بخفوت فوق زجاج النوافذ، كما لو كان يواسي الأرواح المنهكة. فتح رائد باب منزله بهدوء، وخلع معطفه المبتلّ، ثم مضى إلى الداخل كمن يحمل ثقل العالم فوق كتفيه. جلس على الأريكة، وأسند رأسه إلى الوراء، يطارد بصمتٍ كلمات سيرين التي لا تزال ترنّ في أذنه، كلمات مليئة باعترافٍ دافئٍ ما كان يتوقعه.

ومن خلف باب الغرفة المفتوح، أطلت ملامح صغيرة تتسلّل في الظل.
كان ابنه، بشعره الكثّ وعينيه الواسعتين، واقفًا في صمتٍ، يراقبه بعينين ناعستين مليئتين بالفضول.

الابن (بصوت خافت):
"أبي... تأخّرتَ الليلة."

ابتسم رائد، ومدّ ذراعيه نحوه. تقدم الطفل وجلس في حضنه دون تردد، كما اعتادا أن يفعلا في كل ليالي الوحدة.

رائد (يمسح على رأسه):
"أعلم... كان يومًا طويلاً."

الابن (يتفحّص وجهه):
"أنت تبدو غريبًا. كأنك سعيد... لكن في شيء يزعجك."

ضحك رائد بخفة، ثم تنهد، وكأنه تردّد في البوح بما يختلج قلبه.

رائد:
"اليوم... التقيتُ امرأة تُدعى سيرين."

رفع الطفل حاجبيه الصغيرين بدهشة، وقال:

الابن:
"أهي صديقتك؟"

رائد (بشيء من الحيرة):
"أظنّ... أنها أصبحت كذلك. أو بدأت تكون. الحقيقة أني... أُحبّها."

ساد صمتٌ لحظات، قبل أن يرفع الطفل عينيه إليه مجددًا.

الابن:
"وهل تحبّك هي أيضًا؟"

رائد (بابتسامة مترددة):
"قالت لي اليوم إنها تحبّني."

تأمّل الطفل وجه أبيه قليلًا، ثم قال بصوت هادئ:

الابن:
"إذا كانت تحبّك... وتجعلك تبتسم مثل الآن... فأنا لا أمانع أن تكون هنا."

شعر رائد بغصّة في حلقه، واحتضنه بقوة، كأنّه يحتمي بصدره الصغير من ضجيج العالم.

رائد (بصوتٍ متهدّج):
"أنت عالمي كله... كل ما أفعله، أفعله لأجلك."

الابن (يضحك بخفّة):
"وهل ستدعوني أراها؟"

رائد:
"إذا وافقت، نعم... وسأطلب منها أن تحضر الكعك."

الابن:
"كعك بالفراولة... لا تنسَ."

ضحك رائد، ثم حمله إلى سريره، وغطّاه بعناية. قبّله على جبينه، وهمس له:

رائد:
"تصبح على خير، يا قطعة قلبي."

الابن (وهو يغمض عينيه):
"أنا سعيد لأنك لست وحدك بعد الآن..."

خرج رائد من الغرفة، يغالب دمعةً انسابت بهدوء. جلس قرب النافذة، ينظر إلى المطر... لكنّه هذه المرّة، لم يكن يشبه الحزن. بل كان يشبه بداية حياة.

بعد ظهر يومٍ غائم – منزل رائد

كانت الغيوم تكسو السماء بلونٍ رماديٍّ خافت، لكن الجو بدا دافئًا في الداخل. في المطبخ، كانت رائحة القهوة تمتزج برائحة الكعك الطازج. وضعت سيرين الصينية على الطاولة بتأنٍّ، تلتفت بين الفينة والأخرى نحو باب الممر المؤدّي إلى غرفة الجلوس. قلبها ينبض على وتيرة لم تعهدها، رغم أنها امرأة اعتادت مواجهة الشك والخذلان والخطر.

اليوم، لم تكن تُعدّ نفسها للقاء رجلٍ، بل للقاء من هو أغلى عليه من نفسه: ابنه.

دخل رائد بخطاه الهادئة، يرافقه فتى صغير، لم يبلغ العاشرة من عمره، يحمل في ملامحه شيئًا من أبيه، لكن في عينيه شيء أكثر دهشة، أكثر بريقًا، كأن العالم لا يزال أمامه كتابًا مفتوحًا لم يُقرأ بعد.

رائد (بصوت رقيق):
"تعال... هذه سيرين."

وقفت سيرين، تشدّ على أصابعها دون أن تُظهر توترها، ثم انحنت قليلًا وابتسمت له.

سيرين (بنبرة دافئة):
"مرحبًا... سمعت عنك الكثير."

ظل الطفل ينظر إليها ببرودٍ خجول، لا يردّ. كان ينظر إليها كما ينظر إلى كتابٍ جديد: لا يعلم بعد إن كان سيحبّه، أو إن كان جديرًا بثقته.

رائد (مشجعًا):
"قلتُ لها إنك تحب الكعك بالفراولة، فخبزته بنفسها لأجلك."

تحرك شيء صغير في ملامحه، أقرب إلى المفاجأة. التفت نحو الصينية، ثم نحوها، كأنه لا يصدّق.

الابن (ببطء):
"حقًا؟"

سيرين (بابتسامة حانية):
"جربتُ وصفةً جديدة. لا أعدك أن تكون مذهلة... لكنّي وضعت كل قلبي فيها."

اقترب الطفل بخطى حذرة، جلس إلى الطاولة، تناول قطعة صغيرة من الكعك، وتذوقها دون كلمة. صمت... ثم همس:

الابن:
"طيبة..."

ابتسمت سيرين بارتياح، وجلست على الجانب الآخر من الطاولة.

سيرين:
"أنا لا أعرفك بعد... لكني كنت خائفة من هذا اللقاء أكثر مما تتخيل."

رفع الطفل عينيه إليها بدهشة صادقة.

الابن:
"خائفة؟ منّي؟ لماذا؟"

سيرين (بصدقٍ):
"لأنك أهم من أن يُخيب أحدٌ ظنّك. ولأنك شخصٌ لن يكذب عليك قلبك."

ساد صمتٌ لطيف، ثم قال الطفل:

الابن:
"هل تحبين أبي؟"

تجمّدت الكلمات على شفتيها، لكنها لم تتردد طويلاً. نظرت إلى عينيه وقالت بثبات:

سيرين:
"نعم... أحبه. لأنه صادق، ولأنني أراه كما لم يرَه أحد."

نظر الطفل إلى أبيه، ثم إليها. كأنّه يزن شيئًا في رأسه، ثم سأل بنبرة عفوية:

الابن:
"هل ستبقين؟ أم سترحلين مثل الآخرين؟"

توسّعت عيناها قليلاً، لكنها لم تنكسر أمام سؤاله.

سيرين (بصوت واثق):
"لن أرحل إن لم تطلب أنت ذلك."

طال صمته. ثم قام من مكانه، وسار نحوها، ووقف أمامها برهة. ثم فجأة... احتضنها.
احتضنها كمن يختبر شيئًا جديدًا، ثم قال بصوت خافت:

الابن:
"شكرًا على الكعك... وعلى الحقيقة."

رفعت يدها ببطء، وضمت جسده الصغير إلى صدرها، وعيناها تلمعان بدموع خفية.

رائد (يهمس، وهو يراقبهما):
"أعرفه... إن فتح لك قلبه، فلن يغلقه أبدًا."

مرّت لحظة صمت، ثم قال الطفل وهو يرفع عينيه إلى أبيه:

الابن:
"هل يمكن أن تأتي مرّة أخرى؟"

سيرين (بابتسامة دافئة):
"سآتي كلما أردتني أن آتي."

الابن (بخجل):
"حسنًا... لكن هذه المرّة، كعك بالشوكولاتة؟"

انفجروا ضحكًا، جميعًا.
وفي ذلك البيت الذي لطالما لفّه الصمت... بدأت ملامح حياةٍ جديدة تتشكّل.

أمام منزل رائد

كان الغروب يسدل خيوطه البرتقالية على الأرصفة المبتلة، حين وقفت سيرين على عتبة منزل رائد، متلفتة إلى الوراء بنظرة ثقيلة.

خرج رائد يرافقها، يحمل نظرة ممتزجة بين الامتنان والقلق، كأنه يخشى أن تختفي بعد هذه الخطوة، كما اختفى كثيرون في حياته.

رائد (بصوتٍ منخفض):
"شكرًا... لمجرد أنكِ جئتِ، وجعلتِ هذه الليلة أقل وحدة."

سيرين (تبتسم بحزن):
"هو من جعلها أقل وحدة... صغيرك. كان أصدق مما توقعت."

نظر إلى عينيها طويلًا، ثم مال نحوها وهمس:

رائد:
"أنا لم أحبّ أحدًا من قبل كما أحبكِ الآن... لكنّي أخشى أن أكون أثقل من أن يُحتمل."

وضعت يدها على ذراعه، وقالت برقة:

سيرين:
"وأنا... لم أعد أطلب من الحبّ أن يكون خفيفًا، بل أن يكون صادقًا."

ثم التفتت وغادرت. خطواتها على الرصيف كأنها ترنُّ في ذاكرته، كأنها تحفر أثرًا في المساء الرمادي. تابعها بعينيه حتى اختفت، ثم عاد إلى الداخل، فيما هو يشعر أن البيت، برغم امتلائه، أصبح فارغًا.

شقة سيرين – بعد ساعة

كان الليل قد أحكم قبضته على المدينة، حين فتحت سيرين باب شقتها بهدوء، تحمل حقيبة يدها الصغيرة، وعطرها الباهت يسبقها بخطوة.

داخل الشقة، ضوء خافت ينبعث من زاوية الغرفة، وصوت شاشة صغيرة ينبض بألوان متحركة.

جاءها صوتٌ ناعم:

"ماما؟ تأخرتِ اليوم."

كانت الطفلة تجلس على الأرض، ترسم بعناية بقلم أزرق على دفتر مصوّر، ويداها الصغيرتان ملطختان بالألوان.

ركعت سيرين أمامها، وسرحت في ملامحها لحظةً طويلة... تلك الملامح التي لم يعرفها أحد، ولم يرها العالم، لأنها حافظت على سرّها كما تحمي القلب من الجرح.

سيرين (بصوت دافئ):
"كنتُ مع صديق... شخص مهم."

الطفلة (ترفع رأسها):
"هل هو مثل القصص؟ فارس؟"

ابتسمت سيرين بمرارة حلوة:

سيرين:
"ربما... لكن فرسان هذا الزمن لا يرتدون الدروع. بل يحملون وجعًا خلف أعينهم."

نهضت الطفلة واقتربت منها، تنظر إلى عينيها بفضول:

الطفلة:
"هل سيأتي لزيارتنا؟"

صمتت سيرين لحظة، ثم أجابتها بصوت يكاد يكون همسًا:

سيرين:
"ليس الآن... لكنه سيرانا يومًا ما، حين نكون مستعدتين."

جلست على الأريكة، وفتحت ذراعيها، فاندفعت الطفلة نحوها دون تردد. ضمّتها سيرين إلى صدرها، وكأنها تعانق ما تبقى من قلبها.

الطفلة:
"هل هو يعلم أني هنا؟"

سيرين (بعينين دامعتين):
"لا... لكنّي سأخبره يومًا. عندما يفهم العالم... وعندما لا نخاف أن نُرى."

بقيتا على هذا الحال طويلًا. بين حضنٍ دافئ، وسرٍّ لم يُكشف بعد، وحبٍّ خافت ينبت في مكانين مختلفين، لكنه في قلب سيرين... واحد.

مكتب رائد – منتصف النهار

جلست أشعة الشمس تخترق نوافذ المكتب الضيقة، مرسلة خيوطًا من الضوء على الأوراق المتناثرة على المكتب. رائد كان يجلس أمام شاشة الكمبيوتر، عينيه ثابتتان على صور وفيديوهات للأطفال الذين جرى

اختطافهم. حوله، قاعة العمل تضجّ بأصوات الهواتف ونقرات الطباعة، لكنه كان كمن في عالم آخر، محاصرًا في بحر من البيانات والتقارير.

رفع رائد رأسه ليحدق في لوحة المراقبة، حيث تظهر وجوه صغيرة، عيونها المليئة بالخوف والبراءة، وأجسادها الضعيفة في قبضة الظلام.

رائد (بهمس لنفسه):
"كم من وقتٍ بقي لهم؟"

قلبه ينبض بعنف، والعبء يثقل صدره، لكنه لم يكن لديه وقت للانهزام. عُقدت يداه بقوة، وهو يستعرض ملفّاتٍ تتحدث عن المنظمة التي تقف خلف هذه الجرائم.

ظهر له على الشاشة تسجيل صوتي يحتوي على حديثٍ بين اثنين من أعضاء المنظمة، يتحدثان عن صفقة تجارية غير مشروعة واستخدام الأطفال في تجارب قاسية.

رائد (بصوتٍ صارم):
"يجب أن نصل إليهم قبل فوات الأوان."

أخذ ينسخ التسجيل، ويرسل الطلبات لفرق التدخل، لكنه كان يعلم أن المسألة ليست سهلة. فالمنظمة تحيط بها شبكة معقدة من الحماية، والفساد قد يمتدّ في دوائر غير متوقعة.

استدار نحو زميله الذي يجلس بجواره، وقال:

رائد:
"هل تأكدت من تحركات الفريق الأخير؟ هل لديهم أي تقدم؟"

رد الزميل بتعبيرٍ قاتم:

الزميل:
"لا، المنظمة ذكية جدًا... يحاولون التمويه على كل أثر. الأطفال لم يظهروا في أي مكان."

أغلق رائد عينيه للحظة، ثم فتحهما وهو يتنفس بعمق.

رائد:
"لن أسمح لهم بالهروب... لا هذه المرة."

على الطاولة، كانت صورة صغيرة لابنه، تحركت فيها شريحة الضوء، وكأنها تذكّر رائد بما عليه من مسؤوليات.

نظر إليها، وقال بصوتٍ خافت:

رائد:
"سأفعل هذا... من أجلك، ومن أجل كل طفل يستحق أن يعيش."

عاد إلى العمل، يفتح ملفًا جديدًا، ويرتب الأوراق، مستعدًا لخوض معركة قد تغيّر مجرى حياته.

مبنى إدارة التحقيقات الجنائية – مكتب رائد

كان اليوم رماديًا، تتناثر فيه رائحة المطر الخفيف على الأرصفة، وتتمازج مع رائحة الأوراق القديمة والقهوة المركّزة داخل المكاتب.

جلس رائد إلى مكتبه، عيناه غارقتان في تقرير مفصّل عن التحركات الأخيرة للمنظمة. ووسط انهماكه، سُمع طرق خفيف على الباب.

رائد (دون أن يرفع رأسه):
"ادخل."

فُتح الباب ببطء، ودخل شاب في منتصف العشرينات، يرتدي بدلة بسيطة، يعلوها معطف رمادي أنيق. عيونه الرمادية توحي بالحذر والحدّة في آن، وخطواته مدروسة كمن يعرف ما الذي يفعله.

الشاب (بهدوء):
"المحقق يوسف العتيبي. نُقلت رسميًا للعمل في قسمك، أستاذ رائد."

رفع رائد رأسه، حدّق فيه لحظة، كأنه يقيسه بعينيه قبل كلماته.

رائد (بلهجة هادئة):
"سمعت عنك، ملفك النظيف كان أقصر من أن يُدهشني... لكن طموحك واضح."

يوسف (بثبات):
"أنا لا أملك تاريخًا طويلًا، لكن أملك قدرة على التعلُّم، وسرعة في التقاط الخيوط. وجئت لأعمل، لا لأراقب."

أغلق رائد الملف الذي بين يديه، وأشار له بالجلوس.

رائد:
"حسنًا يا يوسف... هل تعرف نوع القضايا التي نتعامل معها هنا؟"

يوسف:
"قضايا المنظمة... الاختطاف، التجارب، الإتجار بالبشر. ملفات مشفّرة في أغلبها. سريّة، وخطيرة."

رائد (بابتسامة خفيفة):
"ومع ذلك، طلبت أن تأتي إلى هذا الجحيم برجليك. لماذا؟"

أجاب يوسف دون تردّد:

يوسف:
"لأن الصمت أكثر خطورة. سمعت بما يحدث... ورأيت أكثر مما ينبغي. لا أريد أن أكون واحدًا من أولئك الذين يراقبون ولا يتحرّكون."

ساد صمت قصير. ثم مدّ رائد يده إلى درج مكتبه، أخرج منه ملفًا مغلّفًا بعلامة حمراء، ووضعه أمامه.

رائد:
"هذا أول اختبار لك. افتح الملف، واقرأ ما فيه."

فتح يوسف الملف، فظهرت صور أطفال مختفين، تقارير طبيّة، رسائل إلكترونية مرمّزة، وخريطة متداخلة.

رائد (بصوت عميق):
"هؤلاء ليسوا مجرد أرقام. هذا الملف قد يغير حياتك... أو يحطمها. اقرأ، وقرّر إن كنت مستعدًا."

أخذ يوسف الملف بين يديه كمن يقرأ كتابًا مقدّسًا. عينيه تتابعان كل تفصيل، وكل خيط، وهو يتمتم:

يوسف:
"هذا... أسوأ مما توقعت."

رائد:
"لم نعد نتعامل مع مجرمين تقليديين. هذه منظمة تعرف كيف تُخفي أثرها، وتُحرك المدينة بخيوطٍ خفيّة. نحتاج إلى كل عاقل... وكل مجنون."

أغلق يوسف الملف ببطء، وقال بثقة:

يوسف:
"أنا باقٍ، سيدي."

رائد:
"إذًا، اربط حزامك جيدًا، يوسف. من هذه اللحظة، لا عودة."

مدّ يده وصافحه، وكانت تلك المصافحة بداية تحوّل... ليس فقط في حياة يوسف، بل في المعركة التي طال أمدها، والتي بدأ فيها رائد يشعر أخيرًا، أنّه لم يعُد وحيدًا في الظلّ.

أطراف المدينة – منطقة صناعية مهجورة

كانت السماء ملبّدة بالغيوم، والريح تعصف برائحة صدأ وأحجارٍ متآكلة. وقف رائد بسيارته غير البارزة، يتأمل البوابة الحديدية القديمة التي تفصلهم عن المصنع المهجور، بينما يوسف بجواره، يحمل جهازًا صغيرًا للمسح الحراري.

رائد (بهدوء):
"المعلومة من المصدر المجهول كانت واضحة... هذا المكان استُخدم كمحطة مؤقتة لنقل الأطفال. قد لا نجد أحدًا، لكننا قد نجد أثراً."

يوسف (متأمّلًا واجهة المصنع):
"أو شركًا."

أومأ رائد بصمت، ثم أخرج سلاحه من الحزام الجانبي، وضغط على زرّ في سترته ليبدأ التسجيل.

رائد:
"نتحرك بهدوء. لا تطلق النار إلا عند الحاجة. سنبدأ من الجهة الشرقية، خلف المخزن المحترق."

تقدّما بين الأعشاب اليابسة والركام، خطواتهما حذرة، وعيونهما تتنقل بين الظلال والفراغ. كانت النوافذ مكسورة، والجدران مغطاة بالغرافيتي والرموز الغامضة، بعضها يشبه رموز المنظمة التي اعتادا رؤيتها في الوثائق السرية.

وصلوا إلى باب جانبي نصف مخلوع. أشار رائد إلى يوسف بالدخول أولًا.

دخل يوسف بخفة، يرفع سلاحه ويتفحص الداخل. غرفة واسعة، أرضها من الخرسانة، وبها صناديق خشبية قديمة، وأدوات متروكة.

يوسف (منخفض الصوت):
"آثار أقدام... جديدة نسبيًا. أكثر من شخص."

اقترب رائد وانحنى ليفحص الأرضية، ثم سحب شيئًا من تحت الصندوق – رباط معصم صغير، للأطفال.

رائد (بهمس حاد):
"كانوا هنا مؤخرًا... وغادروا على عَجَل."

فجأة، سُمع صوت ارتطام بعيد في الطابق العلوي.

تجمّد الاثنان لحظة.

يوسف (بسرعة):
"هل نتابع الصوت؟"

رائد (بحزم):
"نتحرك، لكن دون استعجال."

صعدا الدرج الحديدي بصمت، يتسلل الصدى تحت أقدامهم. الطابق العلوي كان أقل خرابًا، وفي إحدى الغرف الضيقة، وجدوا بقايا أفرشة إسفنجية، علب طعام فارغة، و... مرآة معلقة عشوائيًا على الجدار، تقابل كرسيًا بلاستيكيًا.

يوسف (منزعجًا):
"غرفة مراقبة... من الطراز النفسي."

رائد:
"كانوا يدرّبون الأطفال هنا... أو يُخضعونهم لاختبارات عقلية."

اقترب يوسف من المرآة، دقق النظر ثم ضغط على طرفها ـــ فتنفتح لتكشف خلفها حفرة ضيقة تؤدي إلى نفق.

تبادل النظرات مع رائد، الذي قال ببطء:

رائد:
"هذا لم يكن ضمن الخرائط."

يوسف (بصوت جاد):
"هل نغامر؟"

رائد:
"لهذا جئنا."

نزلا الحفرة بصعوبة، وفي داخل النفق، كان الجو خانقًا، الرائحة كريهة وممتزجة بآثار الدم والعرق. مرّوا عبر ممر ضيّق حتى وصلوا إلى غرفة من الخرسانة، مظلمة إلا من مصباح واحد معلق يتأرجح.

هناك، على الجدران، عُلقت رسومات بريئة مرسومة بأيدٍ صغيرة، أطفال رسموا منازل، أشجارًا، وأشخاصًا يبتسمون... إلى جانب جدران أخرى خُطت عليها كلمات بالطبشور:

"أين أمي؟"
"لماذا أنا هنا؟"
"أريد أن أنام."

تجمّد يوسف.

يوسف (بصوت مختنق):
"كانوا يكتبون هنا... وهم ينتظرون."

اقترب رائد من أحد الجدران، ومرّر أصابعه على اسم كُتب بخطّ صغير: "نوران – 6 سنوات".

رائد (بصوت أشبه بالهمس):
"اسم حقيقي... ليس مجرد رقم."

ثم سُمع صوت سيارة من بعيد، فوق الأرض.

رائد:
"أحدهم عاد."

أطفآ المصباح، وتراجعا نحو زاوية النفق.

رائد (بهمس):
"لا نتحرك... نراقب."

خيم السكون، ثم ظهرت أقدام رجلين يدلفان من الفتحة. أحدهما يتحدث عبر جهاز اتصال، بلغة مشفّرة.

الرجل:
"... الطفل الأخير لم يتحمّل. أبلغوا (الوحدة 4) أن التجربة فشلت. سنحتاج دفعة جديدة."

قبض رائد على سلاحه بقوة، ويوسف كان إلى جانبه، عرقه يتصبب، لكن عينيه تلمعان بتركيز لا يُصدّق.

يوسف (بهمس):
"لدينا وجوه... أصوات... وموقع."

رائد (من دون أن ينظر إليه):
"لكن ليس اليوم. نعود... ونستعد للضربة الحاسمة."

تراجعا ببطء نحو النفق، ثم نحو المخرج الخلفي... حيث غابت أصوات الطغاة، لكنهم تركوا خلفهم بصماتٍ لن تُمحى.

غرفة عمليات خاصة – مقرّ التحقيقات – بعد منتصف الليل

الضوء خافت، وأجهزة المراقبة تملأ الجدران، تُظهر خرائط، مقاطع فيديو، وبيانات رقمية تتحدث بصمت عن شبكة مرعبة من الجرائم. يقف رائد ويوسف أمام الطاولة المستديرة التي تفترشها الخرائط الورقية والصور الحرارية للموقع المكتشف.

رائد (بصوت منخفض لكنه حاد):
"المنظمة عادت لتستخدم مواقع أرضية لم تُرصد منذ خمس سنوات. النفق الذي وجدناه مرتبط بشبكة أوسع... يمكن أن تؤدي بنا إلى قلب التجربة."

يوسف (ينظر إلى الخريطة):
"النفق يبدأ من المصنع، ويمتد إلى هنا..." *(يشير إلى نقطة في الخريطة)*
"مبنى مهجور، لكن الحرارة تشير إلى وجود نشاط فيه خلال الساعات الماضية."

رائد:
"تسريباتنا تؤكد أن ما يسمى بـ'الوحدة 4' يتمركز في هذا الحيّ الصناعي المهجور. وحسب التسجيل الصوتي الذي التقطناه، هناك أطفال محتجزون."

يوسف (بنبرة متوترة):
"كم طفلًا تعتقد أنهم هناك؟"

رائد (ينظر إلى الأوراق):
"من خمسة إلى عشرة... وربما أكثر. بعضهم من المفقودين منذ أشهر."

يوسف (بشيء من الحدة):
"علينا التدخّل فورًا."

رائد (بهدوء صارم):
"وهنا نختلف."

نظر يوسف إلى رائد متفاجئًا، كأنما لم يتوقع منه هذا الرد.

يوسف:
"تقصد أن ننتظر؟ بعد أن كدنا نلمس الحقيقة بأيدينا؟"

رائد (يتقدّم نحو الشاشة):
"يوسف، لقد واجهت هذه المنظمة من قبل. إنها لا تتراجع... إذا أخطأنا الآن، سيُغلق الموقع خلال ساعة، ويُحرق كل أثر. والأطفال؟ إما يُنقلون، أو يُقتلون."

يوسف (بصوت خافت):
"لكن كل دقيقة قد تكلّف حياة."

رائد (ينظر إليه بعينين مرهقتين):
"ولذلك لا نتحرك قبل أن نغلق الدائرة."

جلس يوسف على حافة الطاولة، عينيه تحدّقان في صورة بالأبيض والأسود لثلاثة أطفال يجلسون في غرفة خرسانية. قال بصوت أقرب إلى الهمس:

يوسف:
"هل... هل ترى وجوههم؟"

رائد:
"أراها كل ليلة. ولهذا لا أريد أن أراها تذوب أمامي مرة أخرى."

صمت لثوانٍ، ثم أخرج من الملف صورة لرجل أصلع، بوجه بلا تعابير.

رائد:
"اسمه رمزي القُط، أحد كبار منفّذي المنظمة. كان يقود عمليات النقل في الشرق، واختفى قبل ثلاث سنوات. تواصل معنا مصدر وأكّد ظهوره مؤخرًا قرب الموقع المكتشف."

يوسف:
"أهو العقل المدبّر؟"

رائد:
"ليس بعد. لكنه مفتاح يقود إلى العقل المدبّر."

اقتربت منهما الضابطة التقنية ليلى، تحمل جهازًا محمولًا فيه صور بالأشعة تحت الحمراء.

ليلى:
"تمكّنا من التسلل إلى كاميرات مراقبة قريبة. هناك شحنة ستغادر الموقع بعد يومين، ربما تكون عملية نقل."

رائد:
"ذلك هو وقتنا."

يوسف (بلهجة تصميم):
"يومان إذن. خلالهما، نحتاج خطة دخول، فريق استعداد، ومراقبة دقيقة."

رائد:
"وغطاء خارجي... لا يمكن أن ندخل إلا تحت ستار رسمي. سنُبلغ القسم كعملية طوارئ. أنت سترأس فريق الأرض، وأنا أقود التنسيق من الخارج."

يوسف (مندهشًا):
"ألن تدخل؟"

رائد (بنبرة حادة):
"لو دخلت أنا، سيعلمون. وجهي مكشوف في ملفاتهم القديمة. أما أنت... فأنت الشبح الجديد الذي لم يرصدوه بعد."

لحظة صمت، ثم أومأ يوسف برأسه.

يوسف:
"أفهم... وسأكون مستعدًا."

رائد (ينظر إليه مباشرة):
"ليس فقط جسديًّا، بل نفسيًّا. قد ترى أشياء لا تُنسى. قد تُجبر على قرارات لم تُدرّب عليها. أنت ما زلت جديدًا، يوسف... لا بأس إن قررت التراجع."

يوسف (بثقة):
"كل شيء في داخلي يقول إنني لن أتراجع... حتى لو عدت وحيدًا."

ابتسم رائد بخفة، ثم قال:

رائد:
"ليكن إذًا. أمامنا يومان... وسيتغيّر بعدها كل شيء."

مكتب رائد – منتصف الليل – ضوء المكتب الخافت يشع فوق أوراق مبعثرة

كانت غرفة المكتب هادئة إلا من صوت عقارب الساعة، ووهج شاشة الحاسوب المحمول يُلقي بظلال غامضة على ملامح رائد المنهكة. يجلس خلف مكتبه، يتصفّح تقريرًا عن الموقع الأخير للمنظمة، حين رنّ هاتفه الأرضي – رقم داخلي لا يُستخدم إلا في الحالات النادرة.

رفع السماعة ببطء.

رائد (بنبرة حذرة):
"رائد يتحدث... من معي؟"

جاءه صوت غريب، معدني قليلًا، وكأن صاحبه يتحدث من خلف قناع أو عبر جهاز تشويش.

الصوت:
"لا تقلق، هذه ليست مكالمة عشوائية... إن كنت تتابع قضية الأطفال والمنظمة، فأنا جزء من القصة."

توقف رائد لحظة، ثم قال بحذر:

رائد:
"اسمك؟"

الصوت:
"اسمي لا يهم الآن، لكنك تستطيع مناداتي بـ... إكس زيرو."

رفع رائد حاجبيه، ثم نهض واقفًا، كأنما دُفعت فيه حياة جديدة.

رائد:
"إكس زيرو؟ كنت أحد التجارب... أنت هربت من الموقع الشرقي منذ شهر."

إكس زيرو (بهدوء):
"هربت؟ أم أُطلقت؟ لا يهم. المهم أنني الآن خارج قبضتهم... وأريد التحدث معك."

رائد (يشد على كلماته):
"أين أنت؟ سأرسل فريقًا لحمايتك."

إكس زيرو:
"لا. لا ترسل أحدًا. هذا بيني وبينك. لا فرق عندي إن كنت تحاول إنقاذ الأطفال حقًا... أم تبحث فقط عن صورة البطولة. ما يهمني أن أعرف إن كنت مستعدًا لسماع الحقيقة... دون حماية، دون فريق، دون أسلحة."

رائد (بحدة):
"لن أخاطر بنفسي من أجل مكالمة مشوشة. قد تكون فخًا."

إكس زيرو (بهدوء أقرب للتهديد):
"ربما. وربما لو رفضت... سيموت أطفال في موقعك القادم، قبل أن تصل إليهم. أملك معلومات دقيقة، أوقات، أسماء، وكل شيء... لكني لا أقدّم شيئًا بالمجّان. هذه حياتي."

صمت رائد، يتنفس ببطء، ثم قال:

رائد:
"ما الذي تريده مقابل المعلومات؟"

إكس زيرو:
"ثلاثة أشياء... أن تأتي بمفردك، أن تُصغي دون أن تُسجّل، وأن تُجيبني على سؤال حين نلتقي."

رائد:
"ما هو السؤال؟"

إكس زيرو:
"سأحتفظ به حتى اللحظة المناسبة."

أدار رائد كرسيه ببطء، وتوجه نحو نافذة مكتبه، حيث تنعكس أنوار المدينة على الزجاج.

رائد (بصوت متهدّج):
"وأين اللقاء؟"

إكس زيرو:
"بعد ثلاث ساعات. الميناء القديم – المستودع رقم تسعة. لا تخبر أحدًا. ولا تكن أحمق."

ثم انقطع الاتصال.

المشهد التالي: غرفة العمليات – بعد دقائق

دخل يوسف بسرعة، ليجد رائد واقفًا أمام خريطة ضخمة، وعيناه تتأملان موقع الميناء.

يوسف (مستغربًا):
"هل هناك تحرّك؟ تلقيت إشعارًا بفتح الخط الآمن."

رائد (بهدوء مصطنع):
"لا شيء رسمي. ربما سأخرج قليلًا... هواء فقط."

يوسف (يرمقه بريبة):
"هواء؟ في هذا الوقت؟"

رائد (يحمل سترته):
"أحيانًا الحقيقة تحتاج إلى الصمت، لا إلى فرق مدجّجة بالسلاح."

خرج من المكتب، تاركًا يوسف مذهولًا، والأنوار تومض خلفه في الصالة.

مستودع قديم مهجور – أطراف المدينة – عند الفجر

ينشقّ ضوء الصباح بصعوبة عبر نوافذ المستودع المكسورة، ينساب مثل خيوط دخان باهتة على الأرض الخرسانية.
رائد واقفٌ في منتصف المساحة الفارغة، خطواته بطيئة ويده على مسدسه، عينيه تتفحّصان الظلال. فجأة، يُفتح باب حديدي جانبي، وتدخل منه مجموعة من الأطفال، أعمارهم بين الخامسة والعاشرة، وجوههم شاحبة، نظراتهم خائفة، بعضهم يمسك بيد الآخر.

خلفهم، يدخل إكس زيرو، بوجهه نصف المغطى بوشاح داكن، وجسده يكسوه معطف طويل ممزق من الأطراف، وخطى واثقة لا تخفي الثقل الذي يحمله في قلبه.

رائد (متفاجئًا قليلاً، لكن بنبرة صارمة):
"هؤلاء... من أين أتيت بهم؟"

إكس زيرو (يقترب ببطء):
"من هناك... من الجحيم الذي نبحث عنه منذ سنين."

ينظر رائد إلى الأطفال، يركع على ركبتيه، ينظر إلى أحدهم بعينين ممتلئتين بالوجع.

رائد (بصوت منخفض):
"هل أنتم بخير؟ هل تؤلمكم أجسادكم؟"

يرتجف طفل صغير، ويتقدم ببطء، ثم يهمس:

الطفل:
"كانوا يحقنوننا بشيء يحرق... يقولون إنه يجعلنا أقوى... لكنه يجعلنا نبكي في الداخل."

ينظر رائد إليه، يضع يده على كتفه برفق، وعيناه تتسعان بالألم.

رائد (بصوت خانق):
"لماذا لم تُبلّغ عن هذا فورًا؟ لماذا لم تحضرهم إلى السلطات؟"

إكس زيرو (يقف قبالته):
"لأنني... لست بريئًا."

يتقدم خطوة، ثم ينزع وشاحه عن وجهه، ويكشف عن وجه شاحب، تملؤه الندوب، وعينين أنهكهما الندم.

إكس زيرو:
"كنت أحدهم. لم أكن طفلاً في القفص، بل كنت اليد التي تُغلق الأبواب... والمحقن الذي يُغرس. كنت أداة في يد المنظمة، أختبر وأراقب... أؤذي."

ينظر إليه رائد بجمود، لكن أصابعه تتيبّس على المقبض الجانبي لسلاحه.

رائد (بصوت مشوب بالغضب):
"أنت تعترف... بأنك عذّبت أطفالاً؟ أنك شاركت في هذا الجحيم؟"

إكس زيرو (ينزل نظره):
"نعم. بكل ذرة فيّ أعترف. كنت أظن أنني أداة فقط، لا عقل لي. حتى جاء اليوم الذي رأيت فيه طفلًا صغيرًا... يتوسل لي أن أقتله لينجو من ألم الحقنة القادمة."

يصمت لحظة، ثم يرفع رأسه نحو رائد.

إكس زيرو:
"في تلك اللحظة، أفقت. لم يعد بإمكاني أن أكون شيئًا سوى إنسان. وهربت. أخذت من استطعت... والباقي؟ لم أستطع إنقاذهم. كنت مطاردًا... جائعًا... وكل يوم أنام فيه خارج الزنزانات، كنت أعاقب نفسي بحلم جديد لطفل يصرخ باسمي."

يتقدّم رائد نحوه، نظراته لا تزال مشتعلة بالشك، لكنه لا يرفع سلاحه.

رائد:
"لماذا أخبرتني الآن؟ لماذا لم تختفِ كما يفعل المذنبون؟"

إكس زيرو (بصوت متهدج):
"لأنني... فضّلت أن أموت بين يديك، على أن أعيش في ظلي. أعلم أنني سأُسجن... أو أُعدم. لكن إن كانت روحي ثمنًا لخلاص هؤلاء، فليكن."

ثم ينظر إلى الأطفال خلفه.

إكس زيرو:
"خذهم... واعتبرني لست موجودًا. لكن رجاءً، لا تترك من تبقّى. إنهم ما زالوا هناك، في الأقبية، في التجارب، في صناديق الحديد."

يتنهد رائد ببطء، يلتفت إلى الأطفال، ثم إلى إكس زيرو، ثم يخفض يده عن السلاح.

رائد (بصوت أكثر هدوءًا):
"العدالة ليست سكينًا، يا زيرو... أحيانًا تكون ميزانًا. وستقف عليه."

إكس زيرو (بهمس):
"سأقف عليه... وأنا أنظر في عيونهم."

ينادي رائد عبر جهازه:

رائد (بلهجة حاسمة):
"أرسلوا سيارة إسعاف وفريق حماية فورًا إلى الإحداثيات. لديّ أطفال ناجين... وشاهد رئيسي."

قبل أن يصل الفريق، جلس رائد على الأرض قرب طفل، أخرج قطعة شوكولاتة من جيبه، ناوله إياها.

الطفل:
"هل سنعود إلى منازلنا؟"

رائد (بابتسامة حزينة):
"سنحاول... بكل قوتنا."

طريق سريع خارج المدينة – الساعة 6:30 صباحًا – الأفق ملبد بسحب رمادية

تنطلق سيارة سوداء مصفحة على الطريق، داخلها إكس زيرو مقيد اليدين، يجلس بين ظابطين، بينما تقود السيارة واحدة من فرق الحماية الخاصة. سيارة أخرى تتبعهم على بعد أمتار، تضمن التأمين الخلفي.

إكس زيرو كان ينظر عبر الزجاج الجانبي، يتأمل أول خيوط الضوء في الأفق، وكأن شيئًا في داخله يحاول أن يتنفس قبل النهاية.

إكس زيرو (بهمس للشرطي المجاور):
"أتعلم... منذ أن كنت صغيرًا، كنت أظن أنني سأموت داخل جدرانهم... لا وأنا أنظر إلى شمس."

الشرطي لا يرد، لكنه ينظر إليه نظرة قصيرة، فيها شيء من الاحترام الممزوج بالحذر.

وفي الأمام، يتحدث السائق عبر اللاسلكي:

السائق:
"نحن نقترب من نقطة التفتيش، نحتاج دقيقة واحدة فقط."

لكن تلك الدقيقة لم تمر.

لحظة الانفجار – نصف ثانية تغيّر كل شيء

من أسفل الطريق، على أحد الأعمدة المهجورة، جهاز تفجير مُخبّأ يُفعّل عن بُعد.

انفجار عنيف يهز الجزء الأمامي للسيارة – اللهب يبتلع الإطار الأمامي والسائق، وتنقلب السيارة في الهواء ثلاث مرات، قبل أن تستقر على جانبها، مشتعلة من الجانب.

السيارة الخلفية تنحرف لتتجنب الاصطدام، ويخرج رجال الأمن منها بسرعة، يحملون الأسلحة وهم يركضون نحو الحطام.

داخل السيارة المحطمة

الهواء ممتلئ بالدخان والغبار والزجاج المتناثر. صوت طنين خانق، ووميض ألسنة اللهب يزحف ببطء عبر المقاعد الجلدية.
إكس زيرو يسعل بشدة، رأسه ينزف، عينيه نصف مفتوحتين.

ينظر إلى جسده المقيّد... وإلى الدم النازف من جانب الظابطين بجانبه.

إكس زيرو (بصوت مبحوح):
"لم يكن... هذا... جزءاً من الخطة..."

يحاول أن يتحرك، يمد يده بصعوبة نحو أحد المفاتيح المعلقة في حزام الضابط، لكن اللهب يقترب بسرعة.

لحظة صمت.

ثم انفجار ثانٍ – أعنف – يحطم النوافذ، ويحول الداخل إلى كتلة من النيران.

مقر الشرطة – بعد ساعة – غرفة العمليات

يجلس رائد على كرسي ثابت، لا يتحرك، وعيناه مشدوهتان نحو الشاشة التي تنقل صور الحادث.
صوت الضابط يوسف يأتي من الخلف، بنبرة هادئة حزينة:

يوسف:
"انفجار مزدوج... أحدهم زرع عبوة تحت الإسفلت، والثانية كانت داخل السيارة على الأرجح. العملية مخططة بإحكام."

رائد (بصوت أجوف):
"زيرو كان يريد أن يعترف... لم يكن يريد أن يموت."

يوسف:
"لكنه مات. ومات معه ثلاثة من رجالنا. هذا ليس صدفة. أحدهم لم يرُق له أن يبدأ زيرو بالكلام."

رائد (يهمس):
"كنا قريبين جدًا..."

ينهض ببطء، ويقف أمام الخريطة على الجدار.

رائد:
"هذا لم يكن انتقامًا... هذا تحذير."

يوسف (متوترًا):
"ماذا نفعل؟"

رائد (بحزم):
"نفتّش الجحيم نفسه... لا ننام حتى نجد من زرع تلك القنابل. زيرو مات... لكنه فتح لنا الباب."

شقة سيرين – المساء – غرفة المعيشة

الضوء خافت. التلفاز يعرض فيلمًا قديمًا بلا صوت. سيرين تجلس على الأريكة، ملتفّة ببطانية صوفية، تمسك بكوب من الشاي الدافئ، وملامحها شاردة.
تفكر برائد... بل تتورط في التفكير به. ملامحه، كلماته، نظرته حين تلاقت عيونهما آخر مرة، كلها تتكرر كأنها تنبض في رأسها.

يُقطع شرودها رنين الهاتف. رقم غير معروف. تتردد للحظة، ثم تردّ.

سيرين (بحذر):
"ألو؟"

يأتي الصوت من الطرف الآخر: صوت رجولي، عميق، غير مألوف، مشوب بنبرة هادئة لكنها باردة.

الشخص المجهول:
"سيرين... كنت أعلم أنك ستردين."

سيرين (مشوشة):
"من أنت؟ كيف حصلت على رقمي؟"

الشخص المجهول:
"هذا ليس مهمًا الآن. ما يهم... أنك تستحقين أن تعرفي الحقيقة، لا القصص التي تُروى على المقاهي، ولا النظرات المسروقة خلف الحوائط."

تقف سيرين، توترها يتصاعد.

سيرين:
"أي حقيقة؟ عمّ تتحدث؟"

الشخص المجهول:
"عن رائد. الرجل الذي يخفي من قلبه أكثر مما يقول. الرجل الذي أحببته، لكنك لا تعرفين ثلث ما يدور حوله."

تصمت سيرين، قلبها يبدأ بالخفقان بقوة، لكنها لا تقاطعه.

الشخص المجهول:
"رائد يتعقب منظمة... صحيح. لكنه لا يخبرك أن بعض من كانوا فيها... هم اليوم جزء من دائرته. وأن الحقيقة... أغرب بكثير مما تتخيلين."

سيرين (بتوتر):
"ما الذي تريده؟ ولماذا تخبرني بهذا؟"

الشخص المجهول:
"لأنك الأقرب له الآن... ولأنك، عاجلًا أم آجلًا، ستكونين بين خيارين: أن تكملي المسير معه... أو أن تهربي قبل أن تبتلعيك النيران التي يركض نحوها."

سيرين (بغضب خافت):
"إن كنت تظن أنني سأصدّق هراء مجهول يتصل في الليل، فأنت واهم."

الشخص المجهول (بهدوء مرعب):
"إذن، قولي لي... هل أخبرك عن الطفل الذي مات بين يديه؟ هل تعرفين أن أحد الأطفال الذين نجاهم إكس زيرو... قال إن رائد كان هناك يومًا؟"

تتجمد سيرين في مكانها.

سيرين (بهمس):
"ماذا... ماذا قلت؟"

الشخص المجهول:
"أنا لا أتهمه. فقط أنبّهك. أحيانًا، من يسعى للعدالة، يضيع في دهاليزها. رائد يحارب أشباحًا... لكنه قد يكون أحدهم دون أن يشعر."

سيرين (بهمس مرتبك):
"من أنت...؟ أرجوك..."

الشخص المجهول (ببرود):
"أنا مجرد ظل... رجل يعرف أكثر مما ينبغي. وستعرفين أنت أيضًا. قريبًا."

ثم تُغلق المكالمة. ويبقى الصمت مطبقًا.

سيرين تنزل الهاتف ببطء، وتجلس على طرف الأريكة. نظراتها ضائعة. تلتقط أنفاسًا مضطربة. الأفكار تتزاحم في رأسها...
هل رائد هو من تظنه؟
هل كان هناك، فعلًا، ذات يوم؟
هل كانت تنظر في عيون الحقيقة... أم في قناع جميل؟

بعد انتهاء المكالمة – نفس الليلة – غرفة سيرين

الضوء خافت، وصوت دقات الساعة الحائطية يملأ المكان بصدى ثقيل.
سيرين تقف أمام مرآتها، عيناها شاردتان، لا ترى انعكاسها بل ترى ماضيها.

تخلع أقراطها ببطء... ثم تتوجه إلى أحد الأدراج القديمة. تفتحه.
من بين الأوراق، تسحب صندوقًا صغيرًا مغلقًا بمفتاح قديم.
تفتحه بحذر... فتظهر أشياء لم ترَها منذ سنوات:

بطاقة هوية مزورة باسم مختلف.

صورة قديمة لها بشعر أقصر، وملابس رسمية.

شريط صغير مغبر.

وشاح أسود يحمل شعارًا باهتًا... شعار المنظمة.

تلمس الوشاح بأصابع مرتجفة. تغمض عينيها. مشاهد تتدفق في رأسها.

فلاش باك – ماضٍ مظلم – داخل مقر المنظمة منذ سنوات

كانت سيرين تقف وسط غرفة مظلمة، ترقب من خلف زجاجٍ أحادي الجانب عملية تعذيب لطفل صغير.
وجهها جامد... لا يظهر عليه الانزعاج.
تسألها مشرفة باردة الصوت:

المشرفة:
"هل أنتِ متأكدة أنكِ مستعدة لهذا؟"

سيرين (بصوت خافت):
"لقد دفنتُ سيرين التي كانت تخاف... هذا العمل لا يحتاج قلبًا."

عودة إلى الحاضر

تفتح عينيها بسرعة وكأنها تهرب من ذكرى.
تتنفس بعمق، ثم تنظر نحو النافذة.
في قلبها صراع: هل تقول الحقيقة لرائد؟ هل تخبره أنها كانت جزءًا من الكابوس الذي يحاول هو إنهاءه الآن؟

تتقدم نحو هاتفها. تتردد. ثم تتراجع.

سيرين (بهمس لنفسها):
"لو عرف... سينهار كل شيء. وسأخسره."

لكن في أعماقها، تعرف أن تلك المكالمة لم تكن مجرد تهديد... بل إنذار بأن الماضي لن يبقى مدفونًا للأبد.

تجلس سيرين على الأرض بجوار سريرها، والصندوق الصغير مفتوح أمامها. يداها ترتجفان وهي تعيد ترتيب الأوراق، ثم تتوقف لتحدّق في صورة قديمة لها بملابس المنظمة.

تطرق خفيفة على الباب... ثم يُفتح ببطء.

ابنتها الصغيرة – في السادسة تقريبًا – تقف هناك، شعرها مشعث، تحمل دميتها القماشية وتفرك عينيها.

الطفلة (بصوت ناعس):
"ماما... ما كنتِ تصحين؟ حلمت بحلم غريب..."

تفاجأ سيرين، لكنها سرعان ما تغلق الصندوق بسرعة وتدفعه تحت السرير.

سيرين (تبتسم بتوتر وهي تنهض):
"تعالي حبيبتي، ما بكِ؟ حلم سيئ؟"

تقترب الطفلة وتجلس على طرف السرير.

الطفلة:
"كنتُ في بيت كبير... مثل قلعة... وكان في ناس كتير. في واحد كان يصرخ، وولد صغير كان خايف كتير."

سيرين (تتجمد لثوانٍ، ثم تجلس بجانبها):
"أحلام فقط... مجرد أحلام."

الطفلة (بفضول بريء):
"بس ليه كنتِ في الحلم؟ كنتِ واقفة بعيد... وما كنتِ بتتكلمي."

تتسع عينا سيرين، لكنها تحاول ألا تُظهر انفعالها.

سيرين (بهدوء مصطنع):
"ربما لأنكِ تفكرين بي كثيرًا... حتى في الأحلام."

الطفلة (تضع يدها على خد سيرين):
"أنتِ حزينة يا ماما؟ عيونك حمرا... مش من النوم صح؟"

تتردد سيرين، ثم تضم الصغيرة إلى صدرها بقوة. تمسك بها كما لو كانت تحميها من شبح خفي لا يزال يطاردها.

سيرين (بهمس مكسور):
"لا يا عمري... أنا بخير... بس أحيانًا الذكريات بتوجع... حتى لو كانت بعيدة."

الطفلة (ببراءة):
"أنا بحبك. وأنتِ مش لازم تحزني. أنا بحميك!"

تبتسم سيرين، وتذرف دمعة لم تستأذن، ثم تقبل جبينها.

سيرين (بهمس مرتجف):
"وأنا بحبك أكتر مما تتخيلي... عشانك، بحاول أكون شخصًا جديدًا."

الطفلة (بعناد لطيف):
"تمام لكن لو احد زعلك... اخبريني، أنا بعرف أزعّلهم!"

تضحك سيرين بخفة، رغم ألمها. ثم تأخذ بيد الصغيرة وتقول:

سيرين:
"تعالي ننام سويا الليلة... لا اريد ان أبقى بمفري."

تومئ الطفلة بحماسة، وتزحف إلى السرير وهي تحتضن دميتها.
تستلقي سيرين إلى جانبها، تنظر إلى السقف، وقلبها ينبض بالخوف من الغد... لكنها في تلك اللحظة، وسط الدفء الطفولي، تشعر بومضة أمل.

منزل رائد – ليلاً – غرفة الطفل

كان الليل قد بسط ظلاله على المدينة، ورائحة التعب تفوح من معطف رائد وهو يُعلِّق بصمت على مسند الكرسي القريب. دخل المنزل بخطى متثاقلة، عينيه لا تفارق الأرض كأنها تحمل أوزار الأرواح التي أفلتت من بين يديه هذا اليوم.

في زحمة الصمت، قرر أن يتوجّه إلى غرفة ابنه.

فتح الباب برفق، فإذا بالصغير لم يزل مستيقظًا، يرنو إلى سقف الغرفة كأنما يبحث عن نجمة واحدة تُضيء له الحلم.

رائد (بصوت خافت):
"ما الذي يبقيك يقظًا، يا بُني؟ أليس من المفترض أن تكون نائمًا؟"

الطفل (بابتسامة خفيفة):
"كنت بانتظارك يا أبي... أردت أن أحكي لك عن الأطفال الذين جاءوا اليوم."

اقترب رائد وجلس إلى جواره، مدّ يده وربّت على شعره بتأنٍّ، كأنّه يطمئن قلبه قبل رأسه.

رائد:
"كنت شجاعًا حين احتضنتهم... ليس سهلاً على من في عمرك أن يرى ما رأيت، ومع ذلك، لم تبكِ، ولم تخف."

الطفل:
"أحدهم قال إنك بطل... وقال إن رجلاً أنقذهم، اسمه... إكس زيرو؟"

تلبّد وجه رائد، وخيّم الصمت للحظة. نظر إلى الأرض، ثم إلى عيني ابنه، وقال:

رائد:
"نعم... كان إكس زيرو رجلاً معقدًا، ارتكب أخطاءً كثيرة، لكنه في النهاية اختار أن يُصلح ما أفسد. دفع الثمن، لكنه ترك خلفه نورًا سيهتدي به كثيرون."

الطفل (بدهشة):
"هل مات؟"

رائد (بصوت منخفض):
"نعم، مات وهو يحاول أن يقول الحقيقة... وأن ينقذ أرواحًا بريئة."

خفض الطفل رأسه، وغلبه الحزن.

الطفل:
"لكن... لماذا يموت الطيبون دائمًا؟"

أخذ رائد نفسًا عميقًا، ثم قال:

رائد:
"ليسوا دائمًا يموتون، يا صغيري. بعضهم يظل حيًّا... في كلماتنا، في أعمالنا، في اختياراتنا. إكس زيرو اختار أن يكون الضوء في آخر نفق مظلم، وهو حيٌّ الآن في قلوب من أنقذهم."

سكت برهة، ثم ابتسم وأمسك بيد ابنه:

رائد:
"لهذا... أردت أن أمنحك شيئًا، لقبًا يليق بك."

الطفل (وقد لمع في عينيه الفضول):
"ما هو؟"

رائد (بنبرة دافئة):
"من الآن، سألقّبك بـ ماستر زيرو."

اتسعت عينا الطفل، وبدا أنه لم يستوعب الفكرة تمامًا.

الطفل:
"أنا؟ مثل إكس زيرو؟"

رائد:
"بل أعظم منه. هو بدأ في الظلمة، لكنك وُلدت في النور. أنت امتداد لما كان يأمل أن يكون. أنت ستنقذ من بعدنا، وستنير الطريق لمن خلفك."

ألقى الطفل بنفسه في حضن والده، وعيناه تلمعان بدموع خفية.

الطفل (بهمس):
"سأصير شرطيًّا مثلك... وأحمي كلّ الأطفال، وأقول لهم إنهم بأمان."

ضمّه رائد إلى صدره، وأغمض عينيه كأنما يحميه من كلّ هذا العالم القاسي.

رائد:
"وأنا سأكون فخورًا بك... أكثر مما تتصور."

سكت الاثنان، وبقي الدفء وحده ناطقًا في تلك الغرفة الصغيرة.
لحظة لا تُقاس بالزمن، بل بالمعنى.

غرفة صغيرة ذات إضاءة خافتة في أحد أقبية المدينة القديمة، تتناثر على الجدران شاشات تراقب كل شيء، ورائحة العفن تعبق في الهواء.

بعد منتصف الليل، والمدينة تغط في صمت خانق.

الرجل:
(ينظر في عينيها بثبات قاتل)
لقد كنا طيبين معك، سيرين. سنوات من الصمت والحرية. لكن يبدو أنك نسيت من نحن.

سيرين:

(تحاول التماسك، لكنها تشعر بانقباض في صدرها)

لم أنسَ... لكن رائد لا علاقة له بكم. لقد انسحب منذ زمن، ولم يعد يشكل تهديدًا.

الرجل:

(يضحك ضحكة قصيرة، ساخرة)

انسحب؟ (يميل نحوها) رائد كان مثل السهم، لا يعود إلى قوسه. أنتِ أدرى الناس بذلك.

سيرين:

(تتراجع خطوة)

لم يعد كما كان... تغير. صار أبًا، إنسانًا مختلفًا.

الرجل:

(بصوت خافت ومخيف)

وكلما تغير، زاد خطره. أنتِ تعلمين ذلك. هذا العالم لا يحتمل الخطايا القديمة. المنظمة... لا تنسى.

سيرين:

(بحزن وهي تهمس)

كنتم أنتم خطيئتي.

الرجل:

(يتجاهل كلامها)

اسمعيني جيدًا. لدينا تقارير بأنه اقترب من ملفات الظل. وربما من ناديا أيضًا. إذا فتح ذلك الباب... كل شيء سينهار.

سيرين:

(ترفع رأسها بعناد)

اقتله أنتم إذا كنتم خائفين.

الرجل:

(بصوت منخفض ومسموم)

لسنا خائفين. لكن هناك... رمزٌ بيننا، قانون. من خرج لا يُلمس... إلا إذا لمسنا أولاً. هو لم يلمسنا بعد. لكنكِ... أنتِ بوابتنا. مفتاحنا إلى رأسه.

(يصمت للحظة، ثم يُخرج صورة مطبوعة من جيبه ويلقي بها على الطاولة. في الصورة: ابنتها نائمة في حضن مربية لم ترها من قبل، في مكان غير مألوف.)

سيرين:
(تتجمد، حدقتُها تتسع، شهقة مكتومة تفر من صدرها)
أنتم... أنتم لا...

الرجل:
(يقاطعها)
ابنتك تحت أعيننا منذ أسابيع. لا تؤذيها؟ هذا يتوقف عليكِ. ما نريده بسيط.

سيرين:
(بصوت مبحوح، يختنق بالدمع والغضب)
أن أقتله؟

الرجل:
(يميل برأسه قليلًا)
بهدوء. بلا فوضى. بلا دم في الطرقات. اجعليها تبدو طبيعية. حادث، سم، ما تشائين. فقط تأكدي أنه... لن يفتح فمه مرة أخرى.

سيرين:
(تمشي ببطء، وتضع يديها على الطاولة، تنظر للصورة مجددًا، وعيناها تشتعلان بنار داخلية)
كنتم دائمًا هكذا... تدّعون أنكم حماة التوازن، وأنتم مجرد وحوش ترتجف من الحقيقة.

الرجل:
(ينهض، ويقترب منها حد اللمس)
وحوش؟ ربما. لكننا الأحياء. والذين يترددون... يُدفنون.
لديكِ 72 ساعة، سيرين. وبعدها... لن يكون هناك شيء اسمه "ابنتك".

(يتجه إلى الباب، يتوقف عند العتبة دون أن يلتفت)

الرجل:
أحيانًا... الحب الحقيقي لا يكون في الحماية، بل في التدمير.

(يخرج، تاركًا الباب يغلق ببطء، وصوت ارتطامه يُدوّي في صدرها كسقوط جدار قديم.)

شقتها الصغيرة في الطابق الرابع، النوافذ مغلقة، والضوء خافت يتسلل من مصباح واحد في الزاوية. الساعة تقترب من الثالثة فجرًا. الجو خامل، كما لو أن الوقت نفسه قد توقف.

الثالثة بعد منتصف الليل، والمدينة نائمة، لا يوقظها سوى ضجيج الصراعات التي لا تُرى.

سيرين تجلس على الأرض، تحت ضوء خافت يتسلل من مصباح يتدلّى في الزاوية. أمامها صورة لابنتها نائمة في حضن مربية غريبة، ذات ملامح قاسية. الصورة مهترئة من حوافها، كأن أصابعها كانت تنهشها، لا تمسك بها.

تحدق بالصورة طويلًا، كأنها تحاول أن تتذكر وجه الطفلة من جديد، أن تتثبت أنه ما زال حيًّا في ذاكرتها، قبل أن يُسلب منها.

سيرين (بصوت داخلي):
"يا إلهي... أيّ هاويةٍ هذه التي وُضعتُ على حافتها؟
كيف يُطلب من أمٍ أن تقتل... من أحبّها؟
وكيف يُخيّر القلب بين فاديه وفلذة كبده؟
رائد... لو كنتَ تعرف ما طُلب مني، أكنت ستسامحني؟ أم كنت ستقتلني بيدك قبل أن أفعل؟"

(تغلق عينيها، تُطبق جفنيها كأنها تُغلق على صراعٍ جارفٍ بداخلها. أنفاسها متقطعة، يداها ترتعشان.)

(تنهض ببطء، تتوجه نحو النافذة وتفتحها قليلًا. يدخل نسيم بارد، يُداعب شعرها ويصفع وجهها كما لو كان يُحاول إيقاظها من كابوسٍ جاثم. للحظة، تنظر للأسفل، إلى الشارع الساكن... كأن فيه حلاً أخيرًا.)

ثم... صوت خطوات خفيفة.

يلتف جسدها بسرعة. الباب يُفتح ببطء، وصوت خافت يناديها:

الفتاة (بنعاس):
أمي... لمَ لم تعودي إلى سريرك؟ سمعت صوتك.

سيرين (تحاول تثبيت صوتها المرتجف):
لا شيء يا صغيرتي... لم أستطع النوم.

الفتاة (تفرك عينيها وتقترب):
هل رأيتِ كابوسًا؟ دائمًا أحلم بأشياءٍ مخيفة حين أفكر كثيرًا...

سيرين (تجلس على الأرض، تمد ذراعيها):
تعالي إليّ... دعيني أضمّك.

(تقترب الفتاة وتندسّ في حضنها، تحمل معها دفءَ العالم كله. رأسها الصغير يسند على صدر أمها، ودبُّها الصوفي يتدلى من يدها.)

الفتاة (بهمس):
أنا أحبك، يا أمي...

(تتجمد الكلمات في حلق سيرين، تختنق بدمعةٍ حرّى، ثم تُطبق ذراعيها على جسد طفلتها كأنها تخشى أن يُنتزع منها.)

سيرين (بصوت داخلي):
"وهل هناك جريمةٌ أعظم من أن تضحّي بمن أحبك... لتحفظ من يحبك؟
كيف يقبل القلب أن يخون مرّتين؟
هل أكون قاتلةً من جديد؟ أم خائنةً مرتين؟
رائد... حين أنظر في عينيها، أراك.
وحين تضحك... أسمعك."

الفتاة (بعفوية ونعاس):
رائد... هو الذي أعطاني دبدوبي، أليس كذلك؟ جاء الأسبوع الماضي وقال إنه صديقكِ... وكان طيبًا.

سيرين (يتسع بؤبؤا عينيها، وصوتها يخبو):
زارك؟ متى؟ ومن كان معه؟

الفتاة (تضحك بخفة):
كان وحده. قال لي إنّه يعرفك منذ زمن... وأعطاني شوكولاتة، لكنّي خبّأتها كي لا تنزعجي...

(تمسك سيرين رأسها ببطء. كل شيء ينهار داخليًا: تهديدات المنظمة، ظهور رائد المفاجئ، تورّطه في حياتها من جديد، ثم... نظرة ليلى، البريئة، التي لا تعرف أن العالم ينهار خلف جدران هذه الشقة.)

سيرين (بصوت داخلي، نظرتها معلّقة في العدم):
"جاء لابنتي... لا لي.
لم يأتِ ليحمي نفسه، بل ليقول شيئًا أخيرًا ربما.
هل يعرف؟ هل كان يودّعنا؟
أم كان يُعِدُّنا... للهروب من كل شيء؟"

(تُقبل جبين ابنتها، تضمها من جديد، وتهمس بصوتٍ يكاد لا يُسمع، كأنها تُقسِم، لا تتكلم:)

سيرين:
لن أسمح لأحدٍ أن يقترب منكِ...
ولا حتى أنا.

كنبة في غرفة المعيشة، الضوء منطفئ، إلا من وهج شاشة صغيرة أمامها تعرض صورًا لرائد يتحرّك بين أزقة المدينة. الكاميرات المخفية تراقبه، ترسله لها المنظمة كل ساعة، كأنها تقول لها: "إن لم تفعليها، سنفعلها نحن، ولن يبقى لكِ شيء."

بعد شروق الشمس بدقائق. الضوء الخارجي باهت، كأن النهار نفسه لا يعرف إن كان يوم موت أم ميلاد.

سيرين جالسة، بلا حراك، قدماها العاريتان على الأرض، ويداها بين ركبتيها، وعيناها محمرّتان كمن بكى حتى تكلّلت الدموع بالخرَس.

سيرين (بصوت داخلي):

"كم من الوقت مضى منذ آخر مرة نظرت في المرآة ورأيت نفسي؟
لا تلك التي تصطنع القوة أمام الناس... بل تلك التي كانت تخاف الليل، وتصدق الحب؟
أنا لست تلك بعد الآن.
لا أستطيع أن أكون أمًّا وبطلة وخائنة في آنٍ واحد.
يجب أن أختار."

(تمسك الهاتف، تتردد، ثم تفتحه. تتجه إلى تطبيق التشفير الذي لا تعرفه إلا هي ورجال المنظمة.)

(تكتب رسالة قصيرة:
"موافقـــة.
الموعد كما اتفقنا.
سأُنهي الأمر.")

(يدها ترتجف لحظة الضغط على "إرسال". لا تفعل. تسند إصبعها فوق الزر. تغمض عينيها... فتظهر وجه رائد، ووجه ابنتها. تتردّد. ثم فجأة، وبلا رجعة... تضغط.)

رسالة مُرسلة.

تسقط الهاتف من يدها على الأرض، ويصدر صوت مكتوم، وكأنه يُنهي شيئًا في العالم. تتنفس ببطء... ثم تنهض كمن وقع على قدَره.

سيرين (بهمس، كأنها تخاطب شبح رائد):

"سامحني...
أنا لست ملاكًا، ولا خائنة بطبيعة خلقي.
لكنهم وضعوني في زاوية... حيث لا خيار إلا الظلال.
اخترت ابنتي... ليس لأنك لا تستحق الحياة، بل لأنني لا أستحق أن أفقدها."

المدينة تبدأ في الحركة. الأطفال يذهبون إلى مدارسهم. السيارات تملأ الطرقات. كل شيء طبيعي... إلا قلب امرأة تمضي لتقتل رجلًا أحبّها ذات يوم، لتحمي ابنة لم تعرف يومًا أيّ لُعبة قذرة تُحاك في الظل.

(يُغلَق الباب خلفها. الكاميرا تبقى معلّقة على ظلالها وهي تبتعد، ثم تعود إلى الصالة الفارغة... حيث الهاتف ما زال على الأرض، مفتوحًا، وتحت الرسالة... تظهر نقطة حمراء. إشارة أن "الطرف الآخر" قرأ الرسالة.)

غرفة المعيشة في منزل رائد، صباحٌ هادئٌ مشمس، تتسلل أشعة الشمس عبر النوافذ، تملأ الأرجاء بدفء خفيف. الأرضية مغطاة بسجادة ناعمة، وأثاث بسيط مرتب بعناية.

بداية عطلة رائد، حيث قرر ابنه "ماستر زيرو" عدم الذهاب إلى المدرسة ليقضي الوقت مع والده.

الضحكات تملأ الغرفة، صوتان صغيران يختلطان بين اللعب والمرح.
رائد يلهو مع ابنه "ماستر زيرو" في لعبة الغمّاية.

رائد (بابتسامة عريضة):
هل تستطيع أن تختبئ؟ أعتقد أنني سأجدك سريعًا!

ماستر زيرو (بصوت طفولي مليء بالحماس):
سأختبئ تحت السرير! لن تجدني هناك أبدًا!

يغوص الطفل تحت السرير، وعيناه تتأملان الفجوة المظلمة بحذر، لكن قلبه مفعم بالفرح.

رائد يضحك، يتظاهر بالبحث ببطء.

في لحظة، ينهض رائد متجهًا نحو المطبخ ليحضر مشروبًا، تاركًا الطفل مختبئًا.

سيرين تفتح الباب بهدوء، تدخل المنزل، تبعها رائد دون أن يلاحظ وجودها.

تقف سيرين خلفه في المطبخ، تحدق به بصمت.

رائد يدير ظهره نحوها، يجهز المشروب، بينما ماستر زيرو يختبئ تحت السرير ويشاهد بحذر.

ثم فجأة، تخرج سيرين السكين بسرعة وتبدأ بطعن رائد في عدة طعنات، صوت الألم يملأ المطبخ.

ماستر زيرو يظل تحت السرير، يرتجف خوفًا، لا يجرؤ على الحركة أو إصدار صوت.

سيرين تخرج السكين، تنظر حولها بسرعة، لا تعلم أن طفلًا صغيرًا يختبئ هناك ويرى كل شيء.

تبدأ في إخفاء الجثة بسرعة، ثم تغادر المكان بهدوء.

ماستر زيرو يختبئ تحت السرير لوقت طويل، يراقب الباب حتى تخرج سيرين، وعندما تُغلق خلفها الباب، يبدأ بالتنفس ببطء، مرتجفًا لكنه حي.

تحت السرير، غرفة المعيشة في منزل رائد.

ماستر زيرو، الطفل الصغير، يختبئ تحت السرير، جسده مضغوط بين الأرجل الخشبية، عيونه تلمع بالرعب والفضول في آن واحد. قلبه ينبض بسرعة، وكل نفس يلتقطه يشعر به كأنه آخر أنفاس في العالم.

الألم الذي رآه، صوت الطعنات، الصمت الثقيل الذي تبعها... كل ذلك يطبع في ذاكرته كندبة لا تمحى.

تمر الدقائق، والبيت يغرق في صمتٍ قاتل، إلا من خفقان قلبه الصغير. ثم، ببطء، تلمح عيناه شيئًا غريبًا عند جانب السرير.

باب صغير خفي، بحجم غير معتاد، لا يبدو كأنه جزء من الغرفة الأصلية. يبدو الباب وكأنه مخبأ سرّي، مغلق بإحكام، لا يُفتح إلا بتحريك السرير.

بيدين مرتجفتين، يحرك ماستر زيرو السرير جانبًا ببطء. صوت الخشب على الأرض يرن بخفة، ثم يُكشف الباب الصغير.

يتنفس بعمق، ثم يدفع الباب بيده الصغيرة، ليجد أمامه درجًا يؤدي إلى تحت الأرض.

تتسلل خيوط ضوء خافتة من أسفل الدرج، تثير فضوله حتى يشرع في النزول بحذر.

الأسفل مظلم، لكن يتجمع ضوء خافت حول رفوف مليئة بالكتب القديمة، التي لا تحمل عناوين ولا أسماء مؤلفين. الورق يبدو مهترئًا، لكن طاقة غامضة تملأ المكان.

ينتقل من رف إلى آخر، يمسك كتابًا ضخمًا مغلفًا بغلاف جلدي داكن، يفتح صفحاته برقة وخوف.

فجأة، ينبعث من بين الصفحات نورٌ مشعّ، يضيء الغرفة بألوان متوهجة، وسماءٍ من الأسرار.

في منتصف الضوء، يظهر اسم مكتوب بحروف ذهبية تتلألأ: "ماستر زيرو".

ينظر الطفل بذهول، تتسع عيناه، ويشعر بأن هذا الاكتشاف هو المفتاح، ربما مصيره، وربما بداية رحلة لا تعرف نهايتها بعد.

الغرفة السرية تحت بيت رائد – عالمٌ منفصل عن الزمن، مليء بالكتب العتيقة، والرموز الغامضة، والهواء الذي يحمل طيف السحر.

جلس "ماستر زيرو" على الأرض الباردة، وقد أحاط نفسه بأكوام من الكتب الغريبة التي لا عنوان لها ولا مؤلف، كتب وكأنها خُلقت من الظلال والرماد، لا من الحبر والورق.

كل كتاب كان يفتح له بابًا جديدًا في هذا العالم الآخر ـــ عالم الأسرار المنسية، والتعاويذ التي لا يُسمح بنطقها، والطقوس التي لم تُمارَس منذ آلاف السنين.

مرت الأيام، ثم الأسابيع... ثم السنوات.
لم يعد ذلك الطفل الذي اختبأ مرتجفًا تحت سرير أبيه.
تلاشت دموعه، وتصلّب قلبه، وبدأت عيناه تريان كل شيء بوضوحٍ لا يعرف الرحمة.

في البداية، كانت الكلمات غريبة، تتهجّاها عيناه بشيء من الخوف.
ثم صار يقرؤها بطلاقة.
ثم، صار يفهمها دون أن يقرؤها.

كان يتعلّم بسرعة مذهلة، كما لو أن الكتب نفسها تعلّمه، كما لو أن الغرفة قد اختارته منذ البداية.

أصبح يفهم كيف يعمل السحر، لا كوسيلة عبث، بل كعلمٍ دقيق، له قوانينه ونبضه ومفاتيحه الخاصة.
كان يكتب تعاويذ جديدة، يختبرها، ويعيد صياغتها، حتى لم يعد بحاجة إلى الكلمات.

كانت نظراته تصنع السحر.
كانت أنفاسه تحرّك الأشياء.
كانت صمته أشدّ وقعًا من أي صراخ.

تعلم طرق القتل، لا كقاتلٍ متوحّش، بل كمهندس موت.
كان يعرف نقاط الضعف في الجسد، في النفس، وفي الروح.
عرف كيف يُطفئ الحياة بنظرة، وكيف يُشعل الخوف بكلمة.

صار يُحلّل العقول كما يقرأ الكتب.
يعرف ما ستفعله قبل أن تفكر فيه.
يسبق الجميع لا بخطوة... بل بكيلومترات.

رسم خرائط للواقع، خرائط لا يراها أحد سواه.
أدرك أن من يعيشون فوق الأرض ليسوا سوى بيادق، وأن الغرف السرية، مثل هذه، هي حيث تُصنع القرارات.

تحوّل إلى ظلّ لا يُمسك، وفكر لا يُقرأ، وقوة لا تُوقف.

في لحظة ما، وقف أمام مرآة صغيرة كانت مخبّأة خلف الرفوف، نظر إلى وجهه بعد كل تلك السنوات.

لم يكن الطفل ماستر زيرو ينظر إليه.
كان يرى مخلوقًا جديدًا...
صمتُه أداة، ونظرته نبوءة، وقلبه مدن من الجليد.

ابتسم لنفسه ابتسامة باردة.
وقال بهمسٍ لا يسمعه أحد:

"انتهى زمن التعلّم... وبدأ زمن السيطرة."

قصر زجاجي على أطراف المدينة العليا، تحيط به حراسة مشددة وكاميرات في كل زاوية.
الهدف: حكيم بن راشد، أحد أقدم وأذكى رجال المنظمة، يعيش في عزلة تحميها ثروته، وسمعته، وشياطينه.

في تمام الساعة الثانية صباحًا، أطفأت المدينة أنوارها تدريجيًا، كما لو أنها تتنفس في الظلام. لكن في ظلال البنايات، في أضيق الأزقة، وُلد ظل جديد... لا صوت له، لا رائحة، لا ملامح.
ماستر زيرو يتحرك.

كان يرتدي معطفًا رماديًا طويلًا، تغطي رأسه قلنسوة سوداء، وتُخفي ملامحه قناع من الضباب الذي شكّله بنفسه من تعويذة خاملة.

وصل إلى القصر دون أن يشعر به أحد.
لا كاميرا سجلت تحرّكه، ولا جهاز استشعار تنبّه.
دخل عبر بوابة لم تكن موجودة قبل لحظة، فتحها بجملة نُسيت منذ ألف عام، محفورة في صفحة هامسة من كتاب لا يراه البشر.

الداخل مظلم.
صوت الطنين الخفيف لأجهزة الحماية يتلاشى حين يمر بجانبها.
خطواته ناعمة كأن الأرض لا تلمسه.
يتسلل عبر الممرات، يمر بجانب رجال الحراسة الذين لا يلتفتون إليه، عيونهم المفتوحة كأنها عمياء أمام حضوره. كان لا يُرى، لا يُشتم، لا يُفسَّر.

في الطابق العلوي، خلف باب مصفّح، يقبع "حكيم بن راشد"، يجلس في كرسي جلدي، يدخن سيجارًا ويطالع شاشة مراقبة.

صوت خافت يخترق السكون:

– "كنت أراقبك منذ البداية يا حكيم..."

يرتجف الرجل، يلتفت، ولا يرى شيئًا.
ينهض فجأة، يمد يده نحو زر الإنذار.
لكن يده لا تصل.

لأن الوقت نفسه توقف.

من بين الظل، يظهر ماستر زيرو.
لا وجه له. فقط عيون حارقة كشُهبٍ من ذاكرة موت أبيه.
يرفع يده، لا يحمل سلاحًا. لا يحتاج إلى ذلك.

صوت زيرو، هادئ كأنّه لحن جنائزي:

– "هل تتذكّر رائد؟"
– "أنت من وقّعت على قرار موته... وموتي أنا معه."

حكيم يتلعثم، يهمس:
– "من أنت؟"
– "أنا النتيجة."

بكلمة، تنهار الجدران حول الغرفة، تتكسر المرايا، وتذوب الشاشات.
حكيم يسقط أرضًا، يصرخ، لكنه لا يسمع صوته.

يمد يده المرتجفة نحو ماستر زيرو، لكن جسده لا يطاوعه.
كانت التعاويذ قد بدأت تعمل... واحدة تلو الأخرى، كما دوّنها زيرو في دفتره الليلي.

في النهاية، اقترب منه، وجلس القرفصاء أمام عينيه مباشرة.

قال له:

– "اغتيالي الأول لا يحتاج إلى دم... بل إلى ذكرى."

ثم نفخ في وجهه نفسًا طويلًا.
تجمد حكيم في مكانه.
لا مات، ولا عاش.
عُلّق بين لحظة الذنب ولحظة العقاب.
عقله اختنق بما لا يُفهم.

خرج ماستر زيرو من القصر كما دخل: صامتًا، بلا أثر.
وفي صباح اليوم التالي، عُثر على حكيم بن راشد جالسًا في كرسيه، بعينين مفتوحتين، لا ترفّان، لا ترمشان...
وقد انطفأ داخله كل شيء.

المقر المركزي للمنظمة ـــ قاعة الاجتماعات السوداء، محاطة بجدران مصفحة، وشاشات مراقبة تضيء بعلامات التحذير.
صباح اليوم التالي لاغتيال "حكيم بن راشد".

في طاولة بيضاوية عملاقة يجلس كبار قادة المنظمة.
كلٌّ منهم يحمل وجهاً خالياً من التعبير، لكن العيون...
العيون مشتعلة، مشدوهة، خائفة.

رجل أصلع ذو لحية مشذّبة، يُدعى (قاصد):
– "جهاز الإنذار لم يُفعّل... لا أحد دخل أو خرج. لا أثر لكسر أو اقتحام. وحكيم... جالس على كرسيه، جثّة بعقل محطّم!"

امرأة باردة الملامح، تدعى (نايا):
– "التقارير تقول أن نبضه طبيعي، تنفسه طبيعي، لكن مخّه... مسحوب كأنه محا."

رجل ثالث، عيونه نصف مغلقة، يُدعى (راشد العتيق):
– "هذه ليست عملية اغتيال... هذا إعلان. إعلان بعودة شيء لا نعرفه."

يصمت الجميع. الشاشة الكبيرة خلفهم تعرض صورة لحكيم، وهو يحدّق إلى اللاشيء، متجمّدًا كتمثال حي.

نايا، تهمس وكأنها تخشى أن يسمعها أحد:

– "قالوا إن الطفل... ابن رائد... اختفى."

يتجمّد الهواء.

قاصد ينظر إليها بحذر:
– "مستحيل... لقد اختفى منذ سنوات."

نايا:
– "لكن ما حدث هنا... لا يفعله إلا شخص يعرف المنظمة من الداخل... من قلبها. شخص يعرف أين ننام، كيف نحمي أنفسنا، وأين نخفي أسرارنا."

راشد العتيق (ببطء، وصوت منخفض):
– "وإذا كان ابن رائد قد نجا... فهذا يعني أننا نحن الآن الهدف."

صمت.
الكل ينظر إلى بعضه البعض.
الشك يبدأ في التسلّل، ليس فقط بالخوف من الخطر الخارجي، بل من الخيانة الداخلية.
من علّم الطفل؟ من ترك الباب مفتوحًا؟ من كان يراقب ولم يتدخل؟

قاصد، وقد بدأ التوتر يظهر عليه:
– "نعلن الطوارئ. نغلق كل المخازن السفلية. نحرق الكتب القديمة. نقطع كل أثر للغرفة التي كانت تحت بيت رائد!"

راشد:
– "وإذا كان قد قرأها بالفعل؟"

لم يُجب أحد.

في نهاية الاجتماع، طُرح اسم جديد لأول مرة على الطاولة:

"زيرو."

ليس كاسم بشري، بل ككود أمني، تهديد أعلى من الخطر الأحمر.

بيان داخلي يُرسل إلى كل فروع المنظمة:

تحذير فئة أولى.

كيان مجهول يُلقب بـ"زيرو" مسؤول عن إنهاء حكيم بن راشد.
لا يُواجه منفردًا.
لا يُطارد بلا إذن خاص.
رصدُه يعني إعلان حالة الطوارئ القصوى.

التوقيع: الهيئة العليا.

وهكذا، لم يعد زيرو طفلاً مجهولًا ولا رقمًا منسيًا.
صار شبحًا، كابوسًا...
صار الخطر الذي يخشاه من صنعه.

غرفة ماستر زيرو السرية تحت الأرض، حيث الكتب الغامضة تنير بأضواء باهتة، والخرائط المنتشرة على الطاولة.
بعد اجتماع كبار قادة المنظمة وصدور إعلان الطوارئ.

جلس ماستر زيرو في هدوء، يدرس الخرائط والملفات التي جمعها خلال سنواته في الظل، يخطّط لهجوم ليس عشوائيًا، بل مدروسًا بعناية.

على الطاولة أمامه، تنتشر صور كبار رجال المنظمة، ومخططات تحركاتهم، ومواقع مراكز القوة.
كل حركة محسوبة، كل خطوة مدروسة.
ليس فقط لتصفية أعدائه، بل لكشف أركانهم وخلخلة قواعدهم.

رفع رأسه نحو سقف الغرفة، يغمض عينيه، ثم يقول بصوت هادئ لكنه حاد:
– "المنظمة ليست جسدًا، بل شبكة. لقتلها، لا بد من قطع الأعصاب."

وبيده يبدأ بوضع علامات على خريطة المدينة:
مخازن الأسلحة.
مراكز الاتصالات.
مقرات القيادة.

ثم، ينتقل إلى فهرس أسمائهم، يضع خطاً تحت أسماء كبار القادة الذين تبقوا بعد حكيم بن راشد.

يهمس وهو يرسم خطوطًا بين النقاط:
– "سأضرب من حيث لا يتوقعون، وأشغلهم بخدع تغمّض أعينهم عن الحقيقة."
– "سأجعل الخوف أداة تحركهم، والشك جدارًا يفصلهم عن بعضهم."

يتحرك ببطء نحو رف الكتب، يلتقط كتابًا غامضًا، يفتحه على صفحة تحمل تعويذة قديمة للتمويه والتضليل.

– "الزيف سلاحٌ لا يقلّ فتكًا عن السيف."
– "سأزرع الفتن، وأخلق أعداء داخلية... وهم سيتقاتلون، بينما أنا أنسج خيوطي في الظل."

أمسك بهاتف قديم، يرسل رسالة مشفرة إلى بعض الحلفاء الذين لم ينسهم الزمن.
صوت رنان:
– "الخطوة الأولى: إحداث خلل في الشبكة. انفجارات صغيرة هنا وهناك، ليس لإحداث ضرر كبير، بل لإثارة الذعر والارتباك."

ثم وقف، نظر نحو الباب، وأخذ نفسًا عميقًا:
– "لقد كنت أدرسهم لسنوات. أعرف نقاط ضعفهم. سأجعلهم يسقطون كالدومينو. وسيكونوا أسيرين لقراراتهم الخاطئة."

ابتسم ابتسامة قاتمة، ثم همس:
– "اليوم يبدأ الحساب الكبير. ليس فقط لانتقامي، بل لإعادة التوازن... للعالم كله."

عدة مواقع في المدينة – مركز تحكم ماستر زيرو، مواقع أهداف المنظمة، شوارع مظلمة، وأزقة ضيقة.
قبل انطلاق الهجمات بساعات قليلة.

في غرفة صغيرة مظلمة تحت الأرض، يضيئها ضوء خافت ينبعث من شاشة عرض ضخمة.
ماستر زيرو جالس أمام الطاولة، أمامه أجهزة إلكترونية متطورة، خرائط رقمية، وكومة من الوثائق والصور.

يدخل شاب في العشرينات، يرفع نظارته الذكية ليعرض خرائط تفاعلية.

– "الهدف الأول: مخزن الأسلحة في حي الغروب."
– "الحراسة هناك متوسطة، لكن كاميرات المراقبة مُتصلة بشبكة أمان معقدة."

ماستر زيرو يرمق الشاشة بنظرة حادة:
– "نحتاج لتعطيل الكاميرات قبل بدء العملية، وأي أثر بصري يجب أن يُمحى تمامًا."

تتحرك يداه بسرعة على لوحة المفاتيح، فتُرسل إشارات تشويش إلى شبكة الأمان.
تبدأ الشاشة بتقطيع البث، وتختفي صورة المخزن.

في الوقت نفسه، في شوارع ضيقة، مجموعة من الحلفاء المخلصين لماستر زيرو يوزعون متفجرات صغيرة مخفية داخل صناديق شحن مهجورة.

– "كل عبوة مزودة بجهاز توقيت لا يُرصد، ومزودة بتقنية تقليل الصوت."

يتنقلون بهدوء، يزرعون القنابل في نقاط استراتيجية حول المخزن.

تنتقل الكاميرا إلى برج الاتصالات المركزي للمنظمة، حيث يجلس رجل حراسة وحيد، يراقب الشاشات.

فجأة، تنطفئ جميع الشاشات.
يسقط البرج في ظلام دامس.
صوت انفجار خافت يتردد في الأرجاء.

في نفس اللحظة، داخل المخزن، تنبعث رائحة دخان خفيف، وأصوات تكسير.
يدخل ماستر زيرو بهدوء، مغطى برقع قاتم، يتحرك بلا صوت.
يفحص مخازن الأسلحة، يعبث بها بلمسات خاطفة، يُحرر ذخائر مُلوثة خاصة صنعها بنفسه، تُسبب تعطل الأسلحة عند استخدامها.

الهجوم الثاني كان على مركز قيادة فرعي، حيث تُجمع المعلومات وتُنسّق العمليات.

بواسطة طائرة بدون طيار صغيرة، يرسل ماستر زيرو رسالة صوتية مشفرة:
– "لقد بدأت ساعة سقوطكم."

الطائرة تترك عبوة صغيرة مُركبة على سطح المبنى، تضيء بأضواء خافتة، ثم تنفجر، مدمرة جزءًا من أجهزة الاتصال، مسببة فوضى وانقطاع تام للاتصالات.

مع تصاعد الأحداث، رجال المنظمة يحاولون إعادة السيطرة، لكن الأضرار متتالية.

في غرفة التحكم، تظهر صورة ماستر زيرو على الشاشة، يبتسم ابتسامة باردة:
– "هذه مجرد البداية."

لمقر المركزي للمنظمة – قاعة العمليات، مكاتب القادة، وأروقة المقر.
بعد الهجمات مباشرة، مساء نفس اليوم.

القاعة مظلمة، إلا من أضواء الشاشات التي تعرض صور الكوارث في المواقع المستهدفة.
أصوات الإنذارات تملأ المكان، وكل شخص يتحرك بعصبية واضحة.

قاصد، يتحدث بصوت متوتر لكنه يحاول إظهار السيطرة:
– "أجهزة المراقبة مُعطّلة بالكامل في عدة مواقع، الاتصالات متقطعة، والأضرار تتوسع بسرعة."

نايا، بعينين حادتين، تكمل:
– "الأسلحة التي تم تخريبها لن تعمل لفترة طويلة، وهذا يعني أن قواتنا ستكون ضعيفة جدًا في القتال القادم."

راشد العتيق، ينهض من مكانه، يطرق الطاولة بيده:
– "هذا الهجوم ليس عشوائيًا، بل مدروس. زيرو يريد أن يشلّنا، ثم يضرب في وقت واحد من كل الجهات."

في الممرات، موظفون يهرعون لتنفيذ أوامر الطوارئ.
حراس يُحضرون الأسلحة ويجهزون أنفسهم للحماية.
رسائل مشفرة تُرسل لجميع الفروع:

"حالة تأهب قصوى. لا تثقوا بأحد."

في غرفة صغيرة، يجلس أحد القادة الجدد متأملًا الشاشة.
صوته منخفض:
– "إذا استمر هذا الهجوم، المنظمة قد تنهار من الداخل."

داخل القاعة، فجأة تُطفأ الأضواء بالكامل، يصاحبها صمت مريب.
ثم يعود التيار الكهربائي تدريجيًا، لكن على الشاشة يظهر رمز غامض:
"ZERO IS WATCHING"

يتجمد الجميع للحظة.
ثم انفجار من الغضب والخوف.

قاصد، بصرامة:
– "علينا أن نجد زيرو قبل أن يُدمر كل شيء."
– "ابدؤوا بتشكيل فرق تحقيق خاصة، استخدموا كل الموارد، ولا تدعوا له مكانًا للهرب."

تتوالى المشاهد بسرعة:
محققون يفحصون المواقع.
خبراء يدرسون الأدلة.
رسائل تهديد تصل إلى بعض أعضاء المنظمة من مجهولين.

في لحظة هدوء قصير، نايا تهمس لراشد:
– "هل تعتقد أن ابن رائد ما يزال حيًا؟"
يرد بدون أن يلتفت:
– "إذا كان كذلك، فهو يدمرنا ببطء، وبذكاء."

تختتم المشهد بلقطة لقائد المنظمة، يقف أمام نافذة كبيرة، ينظر إلى المدينة التي تبدو هادئة لكنها تغلي تحت السطح.

بصوت هادئ لكنه يحمل عزمًا:
– "سنضربه، حتى لو كان علينا أن نحرق العالم كله."

غرفة جلوس دافئة ومضيئة، نوافذ كبيرة تطل على حديقة هادئة، حيث تموج الأشجار بهدوء تحت نسيم رقيق.
مساء، بعد يوم طويل، والسماء تميل إلى الغسق.

تجلس سيرين على الأريكة، ممسكة بكوب شاي ساخن، تنظر إلى النافذة وكأنها تبحث عن أجوبة في الغروب.

ابنتها تجلس بجانبها، شعرها الطويل ينسدل برقة على كتفيها، عيناها تعكسان مزيجًا من الفضول والحنان، لكنها أيضًا تحمل سؤالًا كبيرًا في القلب.

الابنة (بصوت خافت):
– "أمي... هل كنتِ يومًا خائفة؟"

سيرين تبتسم ابتسامة حزينة، تلتفت نحوها وتلمس يدها بلطف.

سيرين:
– "خائفة؟ نعم، كثيرًا. لكن الخوف لا يعني الضعف، بل يعني أننا نحب، وأننا نريد أن نحمي من نحبهم مهما كان الثمن."

الابنة تغمض عينيها، تستوعب الكلام، ثم تهمس:

– "أحيانًا أشعر أن هناك أسرار كبيرة بيننا... مثل جدار يفصلنا."

سيرين تتنهد، تنظر إليها بعينين تملؤهما الندم.

سيرين:
– "السرّ ثقيل، يا روحي. ولكني لم أخبرك به لأنني أردت حمايتك... لأنني كنت أخشى أن تؤلمك الحقيقة أكثر مما تؤلمني."

ابنتها تميل برأسها على كتفها، تشعر بالدفء والرغبة في التقرب.

– "هل كنتِ تضحي بنفسك من أجلي؟"

– "دائمًا. كل لحظة وكل قرار... كان من أجلك."

تجلسان في صمت، فقط يسمعان دقات الساعة، ونسمات الهواء تمر برقة.

الابنة ترفع رأسها، عيناها تلمعان:

– "أنا فخورة بك، أمي. رغم كل شيء، أنتِ بطلة في عيني."

سيرين تبتسم، والدموع تترقرق في عينيها.

– "وأنتِ سبب حياتي... وسر قوتي."

تحتضنان بعضهما، كأن العالم يتوقف للحظة، ويصبح كل ما له قيمة في تلك اللحظة هو هذا الحضور، هذا الحب.

قمة مبنى مهجور يطل على المدينة ليلاً، الأضواء تتلألأ في الأسفل، والسماء ملبدة بالغيوم.
منتصف الليل.

يقف ماستر زيرو على حافة المبنى، عباءته السوداء ترفرف بفعل الرياح الباردة. وجهه نصف مظلم، عيناه تلمعان بضوء غريب وكأنهما تنيران من الداخل.

يتنفس بعمق، يتأمل المدينة من تحته، يفكر في كل ما مر به، في الخيانات، الأوجاع، والتضحيات.

صوته الداخلي يهمس:
– "كل خطوة خطوتها كانت نحو هدف واحد... إنهاء هذا العبث."

يخفض رأسه للحظة، ثم يرفع يده إلى السماء، وكأنها تطلب قوة من عالم آخر.

ثم، بهدوء صارم:
– "لا مجال للعودة الآن. لا مجال للرحمة."

تخرج من جيبه قطعة صغيرة، تبدو كقطعة حجر نادرة، تحمل رموزًا قديمة. يمسكها بإحكام.

– "هذه ليست مجرد لعبة حرب. هذه معركة على النفس... على كل شيء."

يردد كلماتٍ من كتابه الغامض، بتلك اللغة التي لا يفهمها سوى هو، وتبدأ أضواء خافتة بالظهور من حوله، وكأن قوى خفية تستجيب له.

ثم يلتفت فجأة نحو ظله، وكأنه يتحدث إلى نفسه:
– "سيرين،الجميع جزء من هذه اللعبة... ولن يهرب أحد."

يخطو إلى الوراء، يختفي في الظلام، تاركًا المدينة تحت عينيه المتلقتين، مستعدًا للمعركة القادمة.

غرفة مظلمة في مخبأ ماستر زيرو، على الطاولة تظهر صورة قديمة لوالده رائد، وأوراق متناثرة تحيط به.
ساعة متأخرة من الليل.

جلس ماستر زيرو على الأرض، ظهرت عليه علامات التعب والضغط. يداه ترتعشان قليلاً وهو يمسك بصورة قديمة التقطت في يوم مشمس، يظهر فيها والده رائد مبتسمًا، واثقًا وشابًا.

تطلعت عيناه إلى الصورة، وتسللت ابتسامة حزينة إلى وجهه، تذكر صوت والده الحنون وهو يداعبه في طفولته، ذاك الضحك الذي كان يملأ البيت دفئًا وأمانًا.

ماستر زيرو (بصوت منخفض):
– "كنتَ الأمان... كنتَ البيت."

ثم يغلق عينيه، تعود الذكريات وكأنها تعصف به، لحظات اللعب، الكلمات الطيبة، النصائح الصادقة.

لكن سرعان ما تتغير تعابير وجهه، ويتبدل الدفء بألم عميق وغضب محتدم.

ينظر إلى نافذة الغرفة حيث ينعكس الضوء الخافت للقمر، ويرتسم في عينيه ظل من القسوة.

ماستر زيرو (بهمس حاد):
– "وسيرين... كيف كان يمكنها؟ كيف دبرت ذلك؟ كيف طعنت أبي مرارًا؟"

يده تضغط على الصورة بشدة، كأن الألم يكاد يقطع أوصاله.

يغمض عينيه محاولًا استجماع ذاته، لكنه يشعر بالخيانة تختلط بالحب القديم.

ماستر زيرو:
– "كنتُ أظنها أمًا... لكنها كانت خنجرًا مسمومًا في ظهري."

يأخذ نفسًا عميقًا، ثم يقف ببطء، يمشي باتجاه الحائط حيث علق صورة له مع سيرين في أيامٍ أهدأ.

ينظر إليها، وحينها يبدو وجهه متأرجحًا بين الحزن والغضب والحنين.

ماستر زيرو:
– "لكنني لن أسمح لهذا الألم أن يحطمني. سأكون أقوى من كل خيانة، أقوى من كل جرح."

يقف أمام النافذة، يحدق في المدينة التي تنام دون أن تعرف أن هناك عاصفة تقترب.

– "أبي... سأكمل طريقك، ولن أدع أحدًا يسرقني من حياتي، حتى لو كانت تلك الأم التي أحببتها."

يغلق عينيه للحظة، ثم يفتحها بتصميم جديد، ويمسك صورة والده مرة أخرى بحنانٍ غريب.

شرفة مبنى مهجور تطل على شارع هادئ في حي سكني، حيث تسكن سيرين وابنتها.
مساء بارد، بعد غروب الشمس.

يقف ماستر زيرو في الظل، جسمه يختفي بين الأعمدة والأركان، عيناه مركّزتان على منزل صغير يضيء بضوء خافت.

في الداخل، يرى سيرين تجلس مع ابنتها على طاولة المطبخ، يبدوان هادئتين، لكن هناك شيء في عينيهما لا يستطيع تفسيره بسرعة.

تبدأ سيرين في الحديث بهدوء، تلمس يد ابنتها، وتبتسم بابتسامة دافئة لكنها متوترة.

ماستر زيرو يراقب بصمت، قلبه ينبض بسرعة غير معتادة، وفي داخله تتصارع مشاعر الحب والشك والغيرة.

يرتشف كأس ماء ببطء، يفكر بصوت داخلي:
– "هل ما زالت سيرين تحاول حمايتها؟ أم أن هناك شيئًا آخر يخفيانه؟"

يتحرك ببطء، يتنقل بين الظلال، يحاول ألا يُكتشف.

تستمر المحادثة بين سيرين وابنتها، كلماتها مفعمة بالحب ولكن تحمل أيضًا قلقًا خفيًا.

ماستر زيرو يشعر بثقل في صدره، لكنه يعلم أن هذه اللحظة حاسمة.

يهمس لنفسه:
– "سأعرف الحقيقة مهما كلف الأمر."

المشهد يختتم بنظرة طويلة لماستر زيرو وهو يختفي ببطء في الظلام، متوجهاً لتحليل كل حركة وكل كلمة رآها، مستعدًا للمواجهة القادمة.

داخل منزل سيرين، غرفة المعيشة والمطبخ المتصل.
نفس لحظة مراقبة ماستر زيرو، مساء بارد.

سيرين تجلس إلى طاولة المطبخ، تحاول أن تبدو هادئة، لكن عينيها تلتقطان أدق الأصوات من الخارج، حاسةً بثقل في صدرها.

تمسك بيد ابنتها برقة، تشعر بأن هناك من يراقبهم، ذلك الشعور القديم يعود ليطاردها.

سيرين (بصوت منخفض لابنتها):
– "لا تخافي يا صغيرتي... لا أحد يستطيع أن يؤذينا ما دمنا معًا."

ابنتها، تنظر إلى النافذة بحذر، ترتشف كوب الشاي ببطء، ثم تهمس:
– "هل تعتقدين أنهم قد يعودون؟"

سيرين تتنهد، تحاول أن تخفي خوفها خلف ابتسامة ضعيفة.
– "أحيانًا الماضي يلاحقنا، لكنه لن يسرق منا حاضرنا."

تتقدم خطوات خفيفة نحو النافذة، تلتقط الستارة برفق، وتنظر إلى الخارج في الظلام.

عيونها تقفز بين الظلال، قلبها يرفرف.

في تلك اللحظة، تشعر ببرودة في الهواء وكأن شيئًا غير مرئي يقترب، لكنها ترفض أن تظهر ضعفها أمام ابنتها.

الابنة (بصوت مرتجف قليلاً):
– "أمي... أريد أن أبقى بجانبك دائمًا."

سيرين تبتسم بحنان، وتحتضنها بشدة.
– "وأنا هنا، لن أتركك وحيدة أبدًا."

في الخارج، تحت الظلال، ماستر زيرو يراقب تلك اللحظات، يدرك عمق العلاقة بين الأم وابنتها، ومعها يدرك أن ما هو على المحك ليس مجرد صراع قوة، بل صراع عواطف وأرواح.

على الشرفة، ماستر زيرو واقف في الظل، عينيه مركّزتان على المنزل، وذهنه يعج بالأفكار.

الحوار الداخلي لماستر زيرو:

"هكذا هما... أم وابنتها. حبل الحب الذي يربطهما، رغم كل ما حدث."

"أتذكر طفولتي مع والدي... ذلك الدفء الذي كنت أظن أنه لا يُكسر. لكن ها أنا ذا، أراقب والدتي السابقة، وهي تحاول أن تحمي ابنتها. هل هي حقًا تحاول الحماية، أم أنها تخفي شيئًا آخر؟"

"كيف استطاعت أن تقتل والدي؟ كيف يمكن لأحد أن يغدر بهذه الطريقة؟"

"لكن، رغم ذلك، أرى في عينيها الحنان. هل ما زال هناك جزء منها لم يمت؟ هل هناك من يستحق الحماية في هذا العالم القاسي؟"

"أنا... أصبحت وحشًا، أم لا؟ هل يمكن للحب أن يظل حيًا في قلبي وسط كل هذا الظلام؟"

"لا أستطيع أن أسمح لنفسي بالانهيار. لا بد أن أعرف الحقيقة. سأكشف كل شيء، ولن أدع أحدًا يهرب."

"سيرين، ابنتك... ستكون مفتاح كل شيء. الحاضر، والماضي، والمستقبل."

ماستر زيرو يغمض عينيه للحظة، ثم يفتحهما بحزم وقرار.
"هذا هو الطريق... لا مفر منه."

غرفة مظلمة في المخبأ، ضوء خافت ينبعث من شمعة على الطاولة.
منتصف الليل، والهدوء يخيم على المكان، إلا أن أفكار ماستر زيرو تضج في عقله.

جلس ماستر زيرو وحيدًا، يحدق في صورة والده التي وضعها أمامه على الطاولة. صوته خافت وهو يهمس:
– "أبي... كنتَ النور الوحيد في ظلامي."

تتسلل إلى ذهنه تلك اللحظات التي كان فيها والده يضحك، يناديه باسمه، يداعبه بيدين دافئتين، ويملأ البيت بالأمان.

لكن سرعان ما تتغير الذكريات، كالصاعقة، تتذكر الدماء، الخيانة، الطعنات التي لم تقتله فقط، بل قتلت جزءًا من روحه أيضاً.

ينقبض صدره، وتنهمر الدموع بلا صوت. لكنه لا يستسلم.

ينهض ببطء، يمشي باتجاه النافذة، يحدق في المدينة التي لا تعرف شيئاً عن الألم الذي يخفيه.

بصوت مليء بالقسوة والحدة، يعلن قراره:
– "من قتل والدي لن يجد الراحة... لن تكتمل فرحته، ولن يهنأ على حياته."

يحرك يديه بتوتر، كأنه يمسك بشريط حياة الآخرين بيده.
– "سألاحقهم... واحدًا واحدًا... لا فرق بين صغير وكبير."

ينظر إلى السماء، كأنه يناجي قواه الغامضة:
– "لن أدع لهم فرصة للهرب، ولا للشفاء. الألم الذي أشعر به هو سلاحي."

يدخل في صمت عميق، تتعالى فيه أصوات الذكريات والحزن، لكنه يتشبث بالعزيمة:
– "الانتقام... ليس فقط للدم، بل للكرامة المهدورة."

يرتفع صوته قليلاً، وكأنه يهدد أعداءه بصوت قادم من أعماق الروح:
– "سيعلمون أنني لست وحشًا بدون سبب، بل روحٌ محطمة تبحث عن العدالة."

يعود إلى الطاولة، يأخذ كتبه الغامضة، يفتح واحدًا بعناية، يبدأ بترديد تعاويذ قوية، تتلألأ أنواره في الظلام.

صوته يصبح أقوى، عينه تلمعان بنار لا تخمد.

– "هذه ليست نهاية، بل بداية فصل جديد... فصل سيكتب فيه أولئك القتلة نهايتهم."

عينيه تشتعلان بحزم لا ينكسر، وسط ظلال الليل.

عدة مواقع مختلفة من شوارع المدينة الضبابية، إلى مكاتب مظلمة، وحتى أزقة مهجورة.
عدة أشهر تمر بسرعة، من بداية الانتقام حتى تصاعد الأحداث.

تتسارع خطوات ماستر زيرو، يختفي بين ظلال المدينة كطيفٍ قاتل، لا يُرى ولا يُسمع إلا بعد أن تتحقق الكارثة.

في ليلة ضبابية، يدخل إلى مبنى فاخر، يراقب من بعيد هدفه — رجل عصابة نفوذ، يعتقد أنه كان له يد في خيانة والده.

بحركة خاطفة وصمت قاتل، يقترب، ويسقطه بضربة واحدة مُميتة، يتركه ممدداً في دمائه دون أدنى أمل.

في موقع آخر، يتسلل عبر نوافذ بناية قديمة، إلى مكتب مسؤول منظمة سرية، رجلٌ معروف بوحشيته وجبروته.

يجلس الرجل خلف مكتبه، غير مدركٍ للقدوم المأساوي، حتى يشعر بثقل ظل ماستر زيرو فوق كتفه.

يتحول المكتب إلى مسرح صمت قاتل، لا يكاد يُسمع إلا ضربات القلب المتسارعة، ثم ينقضي المشهد بانطفاء حياة ذلك الرجل.

تنتقل المشاهد بسرعة، إلى شوارع مظلمة، مواقف سيارات، وحتى قاعات استقبال فخمة.

كل من له علاقة بالمنظمة التي دمرت حياة ماستر زيرو وعائلته، يبدأ في السقوط واحدًا تلو الآخر.

يظهر في مشاهد مختصرة، وهو يجهز خططه ببراعة، يدرس عادات ضحاياه، يراقبهم أيامًا، ثم ينفذ ضربته في توقيت لا يُتوقع.

يبدأ اسم "ماستر زيرو" ينتشر بين أروقة المنظمة، كتهديدٍ يثير الرعب، رمز لا يُقهر.

يتحدث الأعضاء فيما بينهم بحذر:
– "من هذا الرجل؟ كيف ينجح في إزاحة كبارنا واحدًا تلو الآخر؟"

وفي لحظة عميقة، ماستر زيرو يجلس وحيدًا، ينظر إلى قائمة الأسماء التي تم القضاء عليها، بوجهٍ هادئ لكنه صارم.

يمحو اسم والده من ذهنه للحظة، ثم يضيف أسماء أخرى، معلنًا بداية فصل جديد.

– "لن يتوقف أحد حتى أتأكد أن العدل قد تحقق."

ظل ماستر زيرو يختفي في الظلام، بينما تصاعد الغيوم فوق المدينة يحمل وعدًا بعاصفة جديدة.

مكتب المحقق يوسف في قسم الشرطة، غرفة صغيرة مليئة بالأوراق، صور القتلى، وخرائط توضح مواقع الجرائم.
صباح مشمس، لكنه لا ينعكس على الجو الثقيل في الغرفة.

جلس يوسف خلف مكتبه، يحدق في الصورة الكبيرة المعلقة على اللوحة، صور لضحايا متفرقة، علامات الطعن، وأدلة تشير إلى نمط متكرر.

يداه ممدودتان فوق طاولة مليئة بالتقارير، وهو يربت بإصبعه على صورة صديقه القديم رائد، الذي لم يفارق ذهنه منذ سنوات.

يوسف (بصوت هادئ لكنه حازم):
– "رائد... هذه ليست مجرد قضية قتل، هذه حرب معلنة. حرب على من دمرت حياتك."

يأخذ نفسًا عميقًا، يفتح ملف التحقيق، يراجع التفاصيل بعناية.

تصل إليه رسالة نصية من زميله في الميدان، تُعلمه بآخر جريمة وقعت في منطقة نائية، نفس طريقة القتل، نفس التوقيع الذي خلفه "ماستر زيرو".

يتنهد، يدرك أن الوقت ليس في صالحه، وأنه أمام خصم ليس كأي خصم.

يقف فجأة، يمسك معطفه، ويخرج من المكتب، يلتقط هاتفه المحمول ويبدأ بالاتصال.

يوسف:
– "هذه القضية... شخصية أكثر مما توقعت. من قتل رائد، لا يمكن السماح له بالهرب."

ينطلق في شوارع المدينة، يزور أماكن الجرائم، يتحدث مع الشهود، يجمع الخيوط واحدة تلو الأخرى.

في كل لقاء، يشعر بثقل المسؤولية، خاصة مع معرفته العميقة بخلفيات الضحايا، والصلات التي تربطهم بالمنظمة.

يوسف (لنفسه أثناء سيره في ممر مظلم):
– "ماستر زيرو... هذا الاسم أصبح شبحًا في كل زاوية. لكن كل شبح له نقطة ضعف."

يعود إلى مكتبه، يفتح سجلات قديمة عن رائد، يحاول ربط النقاط، يقرأ الرسائل القديمة، ويعيد تجميع الأحاجي.

وفي لحظة يقظة، يهمس:
– "لن أدع الظلام يبتلع الحقيقة."

غرفة مظلمة في مخبأ ماستر زيرو، مليئة بالشاشات وأجهزة المراقبة.
مساء هادئ، مع ضوء خافت ينبعث من الشاشات.

يجلس ماستر زيرو أمام لوحة ضخمة من الشاشات تعرض صور الضحايا، خريطة المدينة مع نقاط الحوادث، ومحادثات بين أفراد المنظمة.

على إحدى الشاشات، يظهر اسم "يوسف" بجانب "التحقيق في سلسلة جرائم ماستر زيرو"، إضافة إلى تقارير الشرطة التي تكشف عن نمط أفعاله.

ينظر إلى الشاشة ببرود، شفتيه تتحركان وهمس خافت:
– "يوسف... بدأت الحركة أخيرًا."

يضع يديه على الطاولة، عينيه تلمعان بحدة وتركيز.
– "هم يقتربون، لكنهم لا يعلمون ما ينتظرهم."

يفتح ملفًا إلكترونيًا يحتوي على تحليلاته الخاصة لكل جريمة، يحلل نقاط القوة والضعف في تحركاته، ويضع خططًا للرد المحتمل.

ينظر إلى صور الضحايا مرة أخرى، ثم يغلق الملف بثقة.
– "لقد قضيت على كل من وقف في طريقي. والآن، دورهم ليخافوا."

يتنفس بعمق، يفكر بصوت داخلي:
"كل خطوة يخطونها تقربني من نهايتي، أو نهايتهم. لكنني... لن أكون الضحية."

يبدأ في تجهيز معدات جديدة، أسلحة وأدوات تساعده على البقاء في الصدارة.

بصوت هادئ لكنه مليء بالتحدي:
– "لن أسمح لأي أحد أن يوقفني. كل من يحاول الاقتراب... سيندم."

يغلق الستائر، وتعم الغرفة ظلمة كاملة، إلا عن بريق عينيه التي لا تعرف الاستسلام.

مكتب المحقق يوسف، بعد الظهر، ضوء الشمس ينعكس من النافذة على الأوراق المبعثرة.
وقت قريب من نهاية الدوام.

يمسك يوسف هاتفه بيد ثابتة لكنه مليئة بالجدية، يتنفس بعمق قبل أن يضغط على زر الاتصال.

يعلو صوت الرنين، وبعد لحظات تسمع سيرين ترد بهدوء:
– "نعم؟ من معي؟"

يرد يوسف بنبرة محترمة لكنها واضحة:
– "مرحبًا، سيدة سيرين. أنا يوسف، محقق في قسم الشرطة. أريد التحدث معك بخصوص تحقيق جارية حالياً، يتعلق ببعض الأحداث الأخيرة التي قد تكونين ذات صلة بها."

يصمت للحظة، يحاول أن يختار الكلمات بعناية:
– "الأمر ليس اتهامًا، بل مجرد استيضاح. نرغب بحضورك لمقابلة في القسم لمناقشة بعض الأمور المهمة."

يسمع في الطرف الآخر صمتًا، ثم ترد بصوت متحفظ:
– "حسنًا... متى تريد أن أكون هناك؟"

يرد بسرعة:
– "هل يمكنك الحضور غدًا صباحًا؟ هذا سيكون مناسبًا لنتمكن من استكمال التحقيق بشكل هادئ."

يتنهد بصوت خافت ويضيف:
– "أعلم أن الأمر قد يكون صعبًا، لكن التعاون هو أفضل طريق للوصول للحقيقة."

تتردد سيرين للحظة، ثم تقول:
– "سأكون هناك."

ينهي يوسف المكالمة بابتسامة خفيفة، رغم قساوة الموقف:
– "شكرًا لك، سيرين. أراك غدًا."

غرفة المعيشة في منزل سيرين، مساءً.
بعد انتهاء المكالمة مباشرة.

وضعت سيرين الهاتف على الطاولة ببطء، عينيها مثبتتان على الشاشة، لكن ذهنها يغوص في دوامة من الأفكار.

تنهّد عميقًا، تجلس على الأريكة، تضع يديها على وجهها، تشعر بثقل المسؤولية يضغط على صدرها.

سيرين (بصوت خافت، تفكر):
– "الشرطة... التحقيق... يوسف... لماذا الآن؟"

تغمض عينيها للحظة، تسترجع كل ما مضى من أحداث، من أسرار دفنتها ومن أكاذيب حاولت حمايتها.

تنظر إلى النافذة، ترى الأضواء الخافتة في الخارج، وتشعر بأن كل شيء ينهار من حولها.

تتحدث مع نفسها بصوتٍ متهدج:
– "إذا عرفوا الحقيقة... ماذا سيحدث لي؟ ولابنتي؟"

تتنهد مجددًا، ثم تقف ببطء، تمشي في الغرفة، تفكر في خياراتها، في مواقفها القادمة.

تلمس قلادة كانت دائمًا تذكرها بالقوة والأمل، وتقول بصوت مفعم بالعزم:
– "لا يمكنني السماح لهم أن يدمّروا حياتنا... سأكون قوية، مهما كان الثمن."

طريق ضيق خارج المدينة، عند الغروب.
مساءً، قبل موعد التحقيق بقليل.

تجلس سيرين في سيارتها، تمسك المقود بيدين متوترتين، وعقلها مشغول بالتحقيق القادم.
تسمع في الخلفية صوت الراديو الذي يبث أخبارًا عابرة عن جرائم المدينة، لكنها بالكاد تركز.

تبدأ بالقيادة بحذر، تتابع الطريق الملتوي الذي يؤدي إلى مركز الشرطة.

فجأة، تشعر بنبض غير مريح، وتنتبه لصوت غريب خلفها، ضجيج سيارة تقترب بسرعة.

تنظر من المرآة الخلفية لترى سيارة سوداء تلاحقها بخطى متسارعة.

تشعر بقشعريرة تسري في جسدها، تضغط على دواسة البنزين لتبتعد.

تقترب السيارة السوداء منها، فجأة يظهر رجل في السيارة الخلفية يرمي شيئًا من نافذتها.

تدرك سيرين في اللحظة الأخيرة أن شيئًا غريبًا قد سقط على جانب سيارتها.

تصاب السيارة بارتجاجات عنيفة، ثم يسمع انفجار ضخم يهز المكان.

تتطاير النوافذ، وألسنة اللهب تلتهم السيارة من الداخل والخارج.

بعد دقائق، يقترب رجال الإسعاف والشرطة، يجدون السيارة محترقة، لكنهم يلاحظون علامة غريبة محفورة على الباب الأمامي: رمز غامض يشبه توقيع ماستر زيرو.

تتحدث الشرطة بينهم وهم يتبادلون النظرات القلقة:
– "هذه العلامة... ماستر زيرو يرسل رسالة واضحة."

في غرفة مظلمة، يقف ماستر زيرو يبتسم ببرود وهو يشاهد التسجيل عبر شاشة مراقبة:
– "لن تهرب، سيرين. هذه بداية النهاية."

تتوهج أضواء الأجهزة الطبية حول جسد سيرين الممدد على السرير، أنابيب التنفس تلتقط أنفاسها بصعوبة.

وجوه الأطباء والممرضين تتحرك بقلق حولها، لكن العلامات واضحة: الإصابات بالغة جداً.

تمسك يدها الصغيرة، التي ترتعش بخفة، ابنتها التي تم إحضارها في حالة ذهول.

تقترب ابنتها، تمسك يدها بحنان، تهمس بصوت مكسور:
– "أمي... تعالي معنا، لا تتركينا."

تفتح سيرين عينيها ببطء، تلتقي بنظرات ابنتها، وابتسامة ضعيفة ترتسم على شفتيها.

تهمس بصوت خافت، ملؤه الحب والقوة:
– "كوني قوية... لا تدعي الظلام يبتلع نورك."

تغلق عينيها بسلام، وتترك وراءها صمتًا ثقيلاً وقلوبًا مليئة بالحزن.

في الظل، ماستر زيرو يبتسم بسخرية:
– "سيرين... رحلتِ، لكن اللعبة لم تنتهِ بعد."

غرفة صغيرة مضاءة بنور خافت من نافذة تطل على السماء المظلمة، ليلاً.
بعد وفاة سيرين بفترة قصيرة.

تجلس الفتاة وحدها على مقعد قريب من النافذة، تلتقط أنفاسها بصعوبة، عينيها تحدقان في الظلام الخارجي وكأنها تبحث عن إجابات.

تلف ذراعيها حول نفسها وكأنها تحاول حماية روحها من برد الغياب الذي ملأ قلبها.

بصوت هادئ، لكنها مثقلة بالألم، تبدأ بالكلام مع نفسها:
– "أمي... لماذا رحلتِ هكذا؟ لماذا تركتِنِي وحيدة في هذا العالم؟"

تغالب دموعها التي تبدأ بالانزلاق على خديها، تمسحها بسرعة لكنها تعود، كأنها لا تريد السماح لنفسها بالانهيار تمامًا.

تتنهد، وتغمض عينيها، تسترجع صوتها وهمساتها الحانية التي لم يعد بإمكانها سماعها إلا في ذكرياتها:
– "كنتِ أمنيتي، قوتي... ومصدر أماني."

تفتح عينيها فجأة، تحدق أمامها وكأنها تواجه واقعًا قاسيًا:
– "وهو... ماستر زيرو... قاتل أمي. كيف يمكن لعالم أن يكون مظلمًا هكذا؟"

تنقبض قبضتها، تهمس بحزم:
– "لن أسمح له أن يفلت. سأجد طريقي، سأنتقم... ليس فقط لأمي، بل لنفسي."

تنهض ببطء، تنظر إلى المرآة تعكس صورتها، في عينيها بريق من القوة رغم الحزن.

قسم الشرطة، مكتب التحقيقات الجنائية.
منتصف النهار.

يجلس يوسف خلف مكتبه المزدحم بالأوراق والملفات، شاشات الحواسيب تضيء وجهه المتعب.

ينظر إلى لوحة كبيرة مثبتة على الحائط، تظهر صور الضحايا وروابط بين الحوادث.

يأخذ نفسًا عميقًا، يلتقط هاتفه ويبدأ بالاتصال ببعض المصادر.
– "نحتاج إلى تحديثات فورية عن تحركات ماستر زيرو. لا مجال للخطأ هذه المرة."

يدخل مساعده بسرعة، يحمل ملفًا جديدًا.
– "المحقق، عثرنا على أدلة جديدة من مسرح الجريمة الأخير. قد تساعدنا في تضييق دائرة المشتبه بهم."

يوسف يفتح الملف بتركيز شديد، عينيه تتمعن في التفاصيل.
– "هذه العلامة... توقيع ماستر زيرو. هو يرسل لنا رسالة واضحة. علينا التحرك بسرعة قبل أن يرتكب المزيد."

يتجه نحو زملائه في المكتب، يرفع صوته:
– "أريد فريقًا مخصصًا لرصد كل تحركاته. كل نقطة ضعف، كل صديق محتمل، كل مكان يمكن أن يختبئ فيه."

يجلس مرة أخرى، يضغط على مفاتيح الحاسوب بحماس، يبدأ بإعداد خطة عمل محكمة.

ينظر إلى صور الضحايا مرة أخرى، يتحدث بنبرة حازمة:
– "لن نسمح لهذا الرجل بأن يستمر في قتل الأبرياء. العدالة ستتحقق، مهما كان الثمن."

منشأة سرّية تابعة للمنظمة، تحت الأرض، محاطة بأسوار كهربائية وبوابات فولاذية.
منتصف الليل.

الظلام يلف المكان، والهدوء ثقيل كأنه يخفي شيئًا رهيبًا.
في أعماق المنشأة، يُحتجز عشرات الأطفال داخل غرف زجاجية باردة، أعينهم باهتة، وأرواحهم مرهقة من الخوف والانتظار.

فجأة... صوت انفجار مكتوم يهز المكان، يتبعه صرير معدني غليظ.
تبدأ الإنذارات في العواء، والأضواء الحمراء تومض بجنون.

كاميرات المراقبة تُظهر رجلاً مقنعًا، يتحرك بثقة وسط الدخان والغبار: ماستر زيرو.

يصل إلى البوابة الرئيسية المحصنة، يضع يده فوق قفل الأمان الإلكتروني... لحظة صمت.
ثم يُصدر الجهاز صوت احتضار، ويشتعل الشرر، وتتحطم البوابة بصرخة معدنية مروعة.

الرجال المسلحون يهرعون نحوه، لكنه يتفاداهم بمهارة خارقة، يضرب، يختفي، ثم يظهر من خلفهم.
لا يقتل أحدًا، فقط يعطّلهم بدقة مذهلة.

يصل إلى ممر الزجاج، يرى الأطفال المذعورين خلف الحواجز.

بصوت هادئ، يُصدر أمرًا آليًا:
– "افتحوا الطريق."

بمجرد لمس جهاز التحكم، تتحطم الأبواب الزجاجية دفعة واحدة، ويتدفق الهواء النقي إلى المكان.

الأطفال ينظرون إليه بدهشة، بعضهم يتردد، لكن صوته يأتي واضحًا:
– "اهربوا. الآن."

ينطلق الأطفال يركضون، عيونهم تمتلئ بالدهشة والخوف والحرية.

قبل أن يخرج آخرهم، ينظر أحد الصغار إلى الخلف... يبحث عن الرجل الذي أنقذهم.

لكنه لا يرى أحدًا.

ماستر زيرو قد اختفى.
كل ما تبقى هو ظله الذي لا يُمسك، وخلفه فقط بوابة محطمة وضوء أحمر يرفرف مثل قلب مهتز.

قسم التحقيقات الجنائية – وحدة العمليات الخاصة.
بعد ساعات من حادثة تحرير الأطفال.

في غرفة العمليات، كان يوسف يقف أمام شاشة ضخمة تعرض صورًا جوية للمقر الذي تم اقتحامه الليلة الماضية.
عيناه متعبتان، لكنه يقظ بشكل مرعب، يمرر أصابعه على الطاولة الرقمية، يحرك الملفات، يراجع تسجيلات الكاميرات، يعيد لحظات الاقتحام مرارًا وتكرارًا.

يوسف (بصوت عالٍ):
– "هذا ليس عمل شخص واحد. هذا... عملية منسقة بدقة عسكرية. توقيت الدخول، التعطيل، التشفير، وتفجير البوابة. مستحيل يكون فرد واحد."

يركض أحد الضباط نحوه بورقة تقرير:
– "سيدي، ليس هناك أي بصمة، لا حرارية، لا حيوية، ولا حتى أثر دم. ولا كاميرا التقطت وجهه."
– "مستحيل هذا يكون رجل واحد، مستحيل!"

يوسف يضرب الطاولة بيده بقوة، يُخرج ورقة بيضاء ويبدأ يرسم دوائر وأسماء، ينظر إلى السبورة خلفه المكتوبة بعجالة:

يوسف (يتمتم):
– "يا ترى من يدعم زيرو؟ منظمة منافسة؟ تمرد داخلي؟ أم شيء أكبر...؟"

يتوقف للحظة، ينظر إلى نافذة القسم الزجاجية... يشعر بشيء، كأن هناك عيونًا تراقبه.
يتوجه نحوها... يزيح الستارة.

لا أحد.

لكنه لا يعلم أن في مبنى مقابل، في الطابق السابع، خلف عدسة قناص حراري، يقف ماستر زيرو.

يراقب يوسف بعيون حادة، واقفًا بصمت كأنه شبح، يتأمل تحركاته بانتباه شديد.

ثم... يبتسم.

ماستر زيرو (بصوت داخلي، بارد ومليء بالثقة):
– "يظن أنني جيش.
يظن أنني آلة.
لكنه لا يعرف بعد... أنني وحدي، وأكفي."

يلتفت لحاسوبه المحمول الصغير، يكتب شيئًا في ملف مشفر، ثم ينظر إلى صورة يوسف.

ماستر زيرو:
– "ذكي، أكثر من البقية. لكن ذكاءه... سيتحول إلى سلاح ضده قريبًا."

ينغلق الحاسوب، ويبدأ زيرو بالتحرك، يختفي بين الظلال مثل دخان، كأنه لم يكن أبدًا.

يوسف واقف أمام السبورة، يكتب بخط غاضب:
"زيرو ليس اسمًا... إنه كيان."

وفي الأسفل، يرسم دائرة حول الكلمة...
"نقطة البداية."

شقة سيرين القديمة – غرفة نومها.
مساء هادئ، بعد أيام من وفاتها.

الغرفة لا تزال كما تركتها سيرين، مزيج من النظام البسيط وعبق العطر الخافت، وكأنها لا تزال هنا.

الفتاة – ابنتها التي لم تُسمَّ بعد – تدخل ببطء، عينيها تجولان المكان بحذر، تختبر الصمت الذي يخيم على الجدران.

تجلس على الأرض بجانب خزانة قديمة، وتبدأ بفتح الأدراج واحدًا تلو الآخر، باحثة عن شيء، أي شيء، يمكنه أن يملأ الفراغ القاتل في صدرها.

الفتاة (تهمس لنفسها):
– "ربما أجد رواية قديمة، أو دفتر مذكرات... أو شيئًا يجعلني أشعر أنها لا تزال هنا."

تفتح درجًا سريًا في أسفل الخزانة، تحتاج إلى دفع خفيف من الجانب لتُفتح الغرفة الصغيرة المخبأة بداخله.

يعلو الغبار... لكنها ترى شيئًا هناك.

كتابان. أحدهما بجلد داكن غامق، والآخر بغلاف مخملي أسود لا يحمل عنوانًا.

تتردد... ثم تلتقط الأول.

تقرأ العنوان: "مخطوطة الظلال: القتلة المتسللون".

تقلب صفحاته، وتجد رسومات لأسلحة غريبة، ملاحظات مكتوبة بخط يد أمها... حركات قتالية، خرائط، أسماء رمزية، تعليمات اختفاء.

الفتاة (بدهشة):
– "ما هذا؟ أمي كانت... تكتب هذا؟ أم تقرأه؟ لماذا تخفيه؟"

تضعه جانبًا، وتلتقط الكتاب الثاني.

لا عنوان.

حين تفتحه، تنفجر رائحة قديمة كالرماد والجلد المحترق، والحبر المشبع بالسحر.

الكلمات تتحرك ببطء أمام عينيها، وتهمس كما لو أن أحدهم يقرؤها لها من بعيد.

الكتاب (بصوت داخلي غير مسموع):
– "إلى من يفتحني... أنتم لستم كما تظنون."

الفتاة تتجمد للحظة، تشعر بقشعريرة تمتد في عمودها الفقري.

تقلب الصفحة التالية... وتجد صفحة تحمل رمزًا يشبه ما رأته ذات مرة في كوابيسها.

الفتاة (بهمس):
– "هذا ليس كتابًا عادياً..."

تسحب نفسها ببطء للخلف، تجلس في زاوية الغرفة، تقلب الصفحات بعينين مرتابتين، لا تدري أنها قد بدأت أول خطوة نحو طريق بلا عودة...

حيث لا يكون هناك "فضول بريء"، بل فقط اختيارات تُغيّر المصير.

الضوء الخافت من المصباح الجانبي ينعكس على وجه الفتاة، التي لم تغمض عينيها منذ بدأت قراءة الكتب.

كتاب القتلة المتسللين الآن مفتوح على صفحة بعنوان:
"الاختفاء في الزمن البطيء."

بينما الآخر، كتاب السحر، ينبض كأنه كائن حي، تظهر حروف جديدة كلما قلبت صفحاته.

الفتاة تهمس لنفسها وهي تكتب شيئًا في دفتر صغير:
– "هذا... هذا ليس مجرد خيال. هذه تقنيات حقيقية. هناك رموز هنا تشبه تمامًا ما وُجد في مسرح جريمة أمي..."

يدها ترتعش، لكنها لا تتوقف.
الصفحات تتكلم.
وكأن شيئًا في داخلها بدأ يفيق.

غرفتها – الساعة الثالثة فجرًا

كانت تجلس على الأرض، وكتاب الطلاسم مفتوح أمامها، والرماد ما يزال يغطي أطراف عباءتها من أثر الشموع المنطفئة. أصابعها ترتعش وهي تعيد رسم الرمز الذي تألق ثم انطفأ، كأنها تحاول إحياءه بعينيها.

ابنة سيرين (بصوت خافت):
– "لم أكن واثقة... لكن ما حدث... لم يكن فشلي.
شيءٌ ما... أوقفه."

نظرت إلى يدها، كانت لا تزال تشعر باهتزاز الطيف، ببرود العدم الذي وقف أمامها.

فتحت دفترها الصغير، وكتبت:

"لا أعرف من أنت... لكنك كنت هناك.
شعرت بك. لم ترحمني. لم تحمني... لكنك رأيت."

سقط القلم من يدها.
بدأت تبكي.
لكن دموعها لم تكن بكاء ضعف... كانت مرارة الخوف من شيء لا يُرى.

رفعت بصرها إلى السقف، كأنها تحدّث الهواء:

ابنة سيرين (بصوت مرتجف):
– "هل كنتَ تعرف أمي؟ هل قتلتها؟"

صمت.

صوت الريح فقط.

ثم رمشة خافتة في مرآتها الصغيرة... لثانية واحدة فقط، انعكس فيها ظل رجل مقنّع.
لكن حين التفتت... لم يكن هناك أحد.

اليوم التالي في المدينة، الساعة 4 مساءً.

تسير في شارع هادئ، وكل من يمر بجانبها يبدو طبيعياً... إلا واحدًا، شابًا يرتدي معطفًا رماديًا طويلًا، يقف عند طرف الزقاق، يحدق بها دون أن يقترب.

توقفت... نظرت إليه، لكن لم ترَ ملامحه، الظل يخفي وجهه.

خطوة نحو الأمام... فاختفى.

سارت بسرعة إلى حيث كان، لا أحد.
لكن على الجدار خلفه... وُجد رمز صغير، مرسوم بالفحم:

﴿ ☥ ﴾

نفس الرمز الذي انطفأ في طقسها الفاشل.

رفعت يدها تلمسه... كانت العلامة لا تزال دافئة.

ابنة سيرين (بصوت داخلي):
– "هو يعرف كل ما أفعله... بل يسبقني بخطوة.
بل... بعشر خطوات."

نظرت إلى السماء، تمتمت لنفسها:

– "لكنني لن أتوقف. سأتعلم أكثر. سأعرف من قتل أمي... وسأقف أمامه."

المكتبة العامة – في زقاق صغير بعيد عن صخب المدينة.
بعد الظهر – السماء ملبدة بالغيوم.

كان فادي نجم يجلس خلف طاولة مكتبته، يدوّن شيئًا في دفتر ملاحظاته الجلدي، بينما أمامه طفلان صغيران يتجولان بين رفوف القصص المصورة.

ابتسامته كانت ثابتة... لكنها زائفة.

فادي (بصوت ناعم، مُفتعل):
– "تريدون قراءة كتاب عن الأبطال الخارقين؟ عندي واحد لن تجده في أي مكان آخر... تعالوا خلف الرف الأخير."

تردد الأطفال. أحدهما تراجع قليلاً، لكن الآخر تابع بخطى بريئة.

دخل فادي خلف الرف، وفتح بابًا صغيرًا مموّهًا خلف ستارة قديمة، يقود إلى غرفة ضيقة فيها مقعد متهالك وطاولة خشبية.

فادي (بصوت منخفض):
– "هنا نخفي الكتب السحرية، فقط للأطفال الأذكياء مثلك..."

صوت الباب وهو يُغلق خلفهم كان ثقيلاً. الجو في الغرفة تغيّر... حتى الإضاءة أصبحت أضعف.

في الخارج، الطفل الآخر، الذي لم يتبعه، كان لا يزال يحدق باتجاه الستارة، خائفًا، مترددًا.

وبينما كان يحاول اتخاذ قراره، سمع الباب يُفتح فجأة.
خرج فادي وحده. ابتسم وقال:

– "صديقك شعر بالنعاس، تركته يرتاح. تريد قطعة حلوى؟"

الطفل تراجع.

وفي تلك اللحظة...
من أحد الزوايا العالية للمكتبة،
كاميرا مراقبة صغيرة – لم تكن من النظام الأصلي. مثبتة بذكاء، لا يعلم عنها أحد.

عدسة تتبع وجه فادي.
وجه يبتسم.
وجه سيُصبح على قائمة هدف.

شقة قديمة أعلى المكتبة – منتصف الليل.
بعد أسابيع من الحادثة الأولى.

كان فادي يجلس على مكتبه في الغرفة العلوية، الستائر مغلقة، والإنارة خافتة. أمامه جهاز حاسوب محمول، وشاشة تُظهر تسجيلات كاميرات سرية.
يتنقل بينها بصمت، وعيناه خالية من الإحساس.

على الطاولة:
دفتر صغير فيه أسماء، بجانبها أعمار...
وعلامات.

✓ – مطيع
X – صامت
؟ – قابل للضغط

فادي (بهمس):
– "هذا الأخير بدأ يهرب كثيرًا... ربما حان وقت استبداله."

يقف، يتجه نحو خزانة حديدية ويُخرج منها صندوقًا صغيرًا فيه ما يُشبه بطاقات مكتوب عليها رموز وأسماء مستعارة، يستخدمها للتواصل مع "الزبائن".
كان قد بدأ يبيع التسجيلات، ويوزع صورًا لأطفال تحت غطاء مكتبة الأبرياء.

في حديقة عامة صباحًا

يجلس فادي على مقعد خشبي، وفي يده جريدة، يُخفي خلفها هاتفًا يُرسل منه رسالة مشفّرة:

"تم التحضير. الولد سيكون وحده الساعة 2 بعد الظهر خلف المكتبة."

يقابله رجل أنيق المظهر، لا يُظهر وجهه بوضوح، يأخذ شيئًا من جيبه ويضعه بجانب فادي – ظرف رمادي صغير.

فادي (بابتسامة منخفضة):
– "كل شيء بثمنه... وأنا أُحب الدفع المسبق."

المشهد الثالث: مساءً – خلف المكتبة

يُشاهد فادي الطفل الذي استدرجه من قبل واقفًا، ينظر حوله بقلق.

يقترب منه فادي ببطء، يضع يده على كتفه:

– "لا تقلق، إنها لعبة جديدة فقط... لا أحد سيعرف."

لكن ما لم يعرفه فادي... أن هناك عدسة أخرى تراقبه الآن.

عدسة ماستر زيرو.
من سطح مقابل، في الظل.

زيرو (صوت داخلي، هادئ كالسُم):
– "ثمن البراءة... لا يُدفع بمال.
بل بالدم."

ملجأ سري قديم - تحت الأرض، يحتوي على حواسيب وشاشات مراقبة.
بعد منتصف الليل.

يجلس ماستر زيرو على كرسي معدني، أمامه لوحة تحكم ضخمة، وكل شاشة تُظهر لقطة من حياة رجل مختلف. بعضهم سياسيون، بعضهم رجال أعمال، وآخرون يعملون في مهن بسيطة... لكن القاسم المشترك؟

كلهم يترددون على مكتبة فادي نجم.

زيرو (حوار داخلي):
– "كل خيط يعود لنفس الواجهة.
مكتبة صغيرة... في حي نائم.
وجه بشوش... وجدار خلفه جحيم."

يضغط على لوحة المفاتيح، ويعرض سجل اتصالات فادي من هاتف تم اختراقه.
أسماء مستعارة، رموز بنكية، رسائل مشفرة.

ثم يعرض خارطة... تتصل عليها خطوط حمراء بين المدن، مرتبطة بنقاط سوداء.

زيرو (يتابع):
– "ليس مجرد متحرش... بل موزّع.
يقدّم الأطفال كسلعة... لشبكة من الوحوش."

يمسك بصورة فادي المطبوعة. ينظر إليها بصمت... ثم يرسم دائرة سوداء حول وجهه.

ثم يهمس:
– "حان وقت دفع الثمن يا فادي."

المكتبة – الساعة 1:45 صباحًا.
فادي وحده، ينقل صناديق ليلية إلى الطابق السفلي.

يحمل كرتونة ثقيلة، ويفتح بابًا سريًا خلف رف "قصص الأطفال". ينزل درجات طويلة تؤدي إلى غرفة مظلمة، تحتوي على حواسيب ومسجلات وأرشيف صور وفيديوهات.

يشعل الضوء... ثم يتجمّد.

كل شيء في الغرفة... محترق.

الملفات الورقية رماد، الشاشات محطمة، الهاردات مُفتتة.

فادي (بفزع):
– "مستحيل... من فعل هذا؟!"

ثم يسمع صوتًا فوقه...
خطوة واحدة فقط.

ينظر للأعلى، من فتحة السقف، ويرى وجهًا مقنّعًا.

فادي (يتلعثم):
– "من أنت؟! الشرطة؟ مافيا؟"

ماستر زيرو (بصوت هادئ، لا مشاعر فيه):
– "لا. أنا القصاص."

ينزل بسرعة خيالية أمام فادي، قبل أن يتمكن الأخير من الصراخ.
في يده خنجر أسود.

حركة واحدة... جرحين.
فادي يسقط على ركبتيه.

زيرو (يهمس في أذنه):
– "الأطفال... ليسوا سلعة.
والشيطان... لا يبقى دون عقاب."

ثم يطعن الطعنة الأخيرة.

صباح اليوم التالي

الشرطة تجد المكتبة مغلقة.
حين يُفتح الباب... لا فادي، لا أرشيف، لا شيء.
فقط على الحائط الداخلي، بخط فحمي:

☾ ☥ ☽

"البداية فقط."

غرفة مظلمة في منزل قديم، جدرانها مغطاة بطلاسم ممزقة، وأغلبها مكتوب بيد والدتها.
منتصف الليل، والرياح تعوي خارج النوافذ المغلقة.

جلست الابنة على الأرض في وسط دائرة طلاسم مرسومة بالفحم والدم اليابس، يحيط بها سبعة شموع سوداء، كل منها يهتز بلهب غير مستقر كأنما الريح في الداخل.

في يدها كتاب قديم متهالك، بلا عنوان، أوراقه مصفرة ويكاد يسقط من بعضه.
تفتح صفحة بعينها، وتبدأ تقرأ بلغة غير مفهومة إلا لنذر يسير من السحرة.

ابنة سيرين (بصوت منخفض، جاد):
– "سيڤارا إيت ناروش... مور إياليم... نادانا إيل ميراش."

الهواء يتثاقل.
الشموع تبدأ تشتعل بلهب أزرق شاحب.

تهتز الأرض أسفلها قليلًا...
ثم يُسمع صوت خافت – أنين... أو ربما همس.

ابنة سيرين (تغلق عينيها، بصوت أقوى):
– "أنا من دم الساحرة التي خُدعت... أنا ابنة من لم تجد السلام... احضروا لي روحها، أو أظهروا ما أُخفي عني."

الهواء يصفع الشموع مرة واحدة.
ثلاث منها تنطفئ، والبقية تصرخ بلهب عالٍ.

ثم من الظلال خلفها...
يظهر خيال امرأة، ضبابيّ، وجهه مشوّش، ملامحه غير مكتملة.

الظل (بصوت مشقوق):
– "أنتِ... ابنتها."

الفتاة (تجفل، تهمس):
– "أمي؟ ... هل هذه أنتِ؟"

الظل:
– "أنا ما تبقّى منها... الخيانة ولّدتني، والسحر شوّهني... وما كنتِ لتجدي الطريق لولا الظلال التي تسكنك."

ترتجف يدا الفتاة...
وتحاول الإمساك بالظل، لكنه يتبدد للحظات، ثم يعود.

الظل (بهمس):
– "من قتلتني... قد تسكنك،
لكن من سيرسلني للراحة... هو من رأى موته."

ابنة سيرين (بغضب):
– "ماستر زيرو...؟"

الظل:
– "هو النهاية...
أو بدايتكِ الجديدة."

ثم تصرخ الأرواح في الدائرة كلها، وتنطفئ الشموع دفعة واحدة.
تُفتح نافذة بقوة وتُغلق، ويتبعها صمت ثقيل.

الفتاة تبكي... ثم تبتسم.
تفتح صفحة أخرى في الكتاب.

وتهمس:
– "لن أدعك تنتهي قبلي... يا من تسكن الظلال."

"الخيط الذي لا يُرى"

سطح مبنى قديم مُقابل لمنزل سيرين.

قبل الفجر، السماء تميل إلى الأزرق الرمادي، والمدينة لا تزال نائمة.

كان ماستر زيرو يجلس القرفصاء في ظل جهاز مراقبة حراري.
يُراقب من خلال عدسة ليلية النوافذ المغطاة بالستائر في منزل سيرين.

العدسة تلتقط طيفًا باهتًا... طاقة سوداء تتصاعد من الشباك الخلفي.
ثم يرى... ابنتها. جالسة وسط دائرة سحرية.

زيرو (حوار داخلي، بصوت بارد لكنه متأمل):
– "أرواح... دماء... طلاسم.
لقد فتحت الكتاب إذًا، يا شظية الخائنة."

يراقبها تُنهي الطقس، ثم تنهار للحظة، تبكي... وتبتسم.

زيرو (يفكر):
– "ليست والدتها... ليست أيضًا مجرد فتاة.
الظلام يلتف حولها، لكنه لم يبتلعها بعد."

يقوم واقفًا، يسحب من حقيبته شيئًا صغيرًا، ملفوفًا بقماش أسود:
سوار نحاسي قديم عليه طلاسم محفورة، من نفس نوع الكتاب الذي وجده هو تحت السرير زمنًا.

يتمتم زيرو بصوت منخفض:
– "من أرادت الطريق... سأضع له الباب.
ولكن... أنا من أملك المفتاح."

الفجر

ابنة سيرين تستيقظ فجأة على صوت غريب في الحديقة الخلفية.
تنزل من غرفتها، ما زالت آثار الطقس على كفيها.

تتقدم بهدوء... تفتح الباب الخلفي... وتنظر إلى الأرض.

فتجد صندوقًا خشبيًا صغيرًا. لا قفل له.
تفتحه... فتجد داخله:

السوار النحاسي.

ورقة قديمة كُتب عليها بالحبر الأسود:

"الباب لا يُفتح بالقوة...
بل بالفهم."

تلمس السوار... تشعر بحرارة خفيفة في جلدها.
تتلفت حولها، لا أحد.
لكن بعيدًا، فوق السطح المقابل... ظل خافت يختفي.

زيرو، وهو يبتعد في الظلال (بصوت داخلي):
– "لن أدعها تمشي في الظلام... إلا بخيوطي."

"رباط الخيط"

بعد يوم من حصولها على السوار.
غرفتها – مضاءة بضوء شمعة واحدة، والكتاب أمامها.

جلست تتأمل السوار في معصمها.
في البداية، بدا مجرد قطعة أثرية جميلة... لكن شيئًا فيها كان يتغيّر.

ابنة سيرين (تفكر بصوت منخفض):
– "كأن السوار يتنفس... أو يهمس."

تحاول خلعه، لكنه يقاوم.
ينزلق مرة، ثم يعود لمكانه كأن الجلد نفسه لا يريد مفارقته.

تتجه ناحية مرآة الغرفة.
تلمح شيئًا... وميضًا في عينيها للحظة. كأن أحدًا يراها من داخلها.

ثم تسمع في رأسها... صوتًا غريبًا. ليس صوتًا بشريًا، ولا حيوانًا.
بل مزيج من الريح والنار.

"انظري أعمق، أنتِ لستِ وحدك."

تقفز الفتاة، تنظر حولها، لا أحد.
لكن على سطح الكتاب... يظهر نقش جديد لم يكن موجودًا.

"عندما تسكنك البصمة، تُرى الأشياء من أعين غيرك."

في مكان آخر...

في غرفة مظلمة مليئة بالأجهزة والطلاسم القديمة...
ماستر زيرو يُغمض عينيه أمام وعاء ماء ساكن، مغمور برماد أعشاب.

ثم ينبض السطح المائي... وتبدأ صورة الفتاة بالظهور فيه، واضحة كأنها خلف نافذة من الزجاج.

زيرو (بهدوء، ببرود متأمل):
– "ترتدي السوار... إذًا تقبلت الخيط."

يتحرك إلى ركن الغرفة، يفتح كتابًا قديمًا بختم "الرؤية السحرية المشتركة".

يمرر إصبعه على طلسُم معقّد...
وفجأة يشعر بنفس الألم الذي شعرت به الفتاة عندما حاولت خلع السوار.

زيرو (بابتسامة نصف باردة):
– "الرباط نشط... وكل نبضٍ فيكِ، يصل إليّ."

عودة إلى الفتاة...

بدأت ترى رؤى خاطفة أثناء نومها:
شخص مغطى بالظلال، يقف في أماكن مهجورة... في عيونه نار لا تنطفئ، لكنه لا يقترب.
كان ذلك زيرو، يُرسل إشاراته عبر الرباط، لا لكشف نفسه، بل لاختبار مقاومتها.

وفي كل مرة تستيقظ، يكون السوار أغمق قليلاً.
كأنما يمتص منها شيئًا... أو يمنحها شيئًا لا تفهمه بعد.

في إحدى الغرف القديمة داخل أرشيف محطة إذاعية مهجورة، كانت إيليا تجلس على الأرض بين عشرات الملفات المبعثرة، أوراق صفراء، وأشرطة ممغنطة فقدت أسماءها. الغبار يخنق الضوء الضعيف القادم من نافذة مكسورة.

يديها كانت ترتجفان من الإرهاق، لكنها لم تتوقف. لقد اعتادت النوم في العراء، تحت الأرض، في القطارات المعطلة. لكن شيئًا ما في هذه الليلة جعلها ترفض الاستسلام. إحساس. كأن شيئًا ما ينتظرها، ويقترب كلّما دقّ قلبها.

ثم...
رأته.

ورقة صغيرة، ليست كباقي الأوراق، زُرعت بعناية داخل كتاب بعنوان الطب النفسي عند البشر بعد الحرب الكبرى.
كانت مكتوبة بخط آلي، لكن السطر الأخير... كان بخط يدٍ مألوف.

"السماء لا تنام فوق المدينة الرمادية. منتصف الليل. المكان: السطح الذي شهد أول اختفاء."

الخيط.

حدقت إيليا في الورقة لثوانٍ، ثم ابتسمت.
ابتسامة شخص وجد الضوء في نهاية متاهة. لم يخطر في بالها أنها لم تجد الخيط... بل الخيط هو من وجدها.

كانت تظن أنها تتعقب شبحًا، لكنها في الحقيقة تسير في طريقٍ فُرش لها خصيصًا.

منتصف الليل — سطح المبنى المهجور.

الضباب يبتلع المدينة كحيوان ضخم. الأضواء تذوب فيه، والأصوات تُخنق قبل أن تولد.
إيليا وقفت هناك منذ نصف ساعة.

لم تكن خائفة، بل كانت مستعدة.

نظرت إلى ساعتها.

ثم، كما لو أن الليل تنفّس للمرة الأولى... سُمع صوت محرك ناعم، كأن الموت يتسلل على دراجة.

وقف الموتسيكل على بُعد عشرة أمتار منها.
ترجل الرجل منه ببطء...

يرتدي قميصًا أسود يُفتح من عند الياقة، وبنطالًا بنفس اللون، وساعة فضية تلمع كعين ذئب.
وجهه في الظل، لا تُرى ملامحه، فقط انعكاس الضوء على خصل شعره الناعم.

هو.

ماستر زيرو.

تكلمت إيليا أولاً، بصوتٍ هادئ... لكنه مشحون:

"ظننتك لن تأتي."

ردّ بدون أن يتقدّم، صوته عميق كصوت من خرج من قبر منذ دقائق:

"ظننتِ أنكِ أذكى من أن تطلبي لقائي."

اقترب خطوة.
مدّت يدها نحو سلاحها، لكنها لم تسحبه.

ابتسم قليلاً:

"لو أردت قتلك... لما كنتِ هنا لتتأملي الخطأ."

سألته وهي تراقب كل حركة من جسده:

"هل تعرف من أنا؟"

أجاب بلا تردد:

"أعرف ما تحاولين أن تكونيه."

صمت... ثم أضاف:

"لكن لا أحد يعرف من هو الآخر حقًا. حتى أنتِ."

اقترب خطوة أخرى.
أصبحت المسافة بينهما مترين فقط.

قالت بنبرة فيها شرارة تحدٍّ:

"أنا أعرفك يا زيرو. قتلت مئات. لكنهم لم يكونوا مجرمين دائمًا... أليس كذلك؟"

رفع رأسه قليلًا.
ظهر جزء من وجهه — عينه اليسرى. كانت هادئة... بشكل مرعب.

"بعض الحقائق لا تناسب الأحياء."

سألته بنبرة أهدأ:

"لماذا أتيت؟"

أجاب بعد صمت طويل:

"أردت أن أراك. أتحقق... هل ما زلتِ تشبهينها."

"من؟"

"لا يهم الآن. لقد ماتت."

نظرت إليه طويلاً. لم يكن قاتلًا فقط. كان... شيء آخر.

وسألت نفسها: هل يمكن أن يقتل أحدهم كل هذا... ويظل فيه ظل من بشر؟

همس زيرو، كأنه قرأ أفكارها:

"أحيانًا، نقتل لننجو. وأحيانًا... نقتل لننسى من كنا."

تقدّمت خطوة.

"وأنا جئت لأعرف من أنت."

اقترب هو أيضًا. بينهما الآن هواء فقط... وقرار.

"احذري يا إيليا...
المعرفة أثقل من الدم.
وأنا غارق فيه حتى اسمي."

الضباب يزداد كثافة، كأن المدينة تريد أن تخفي ما سيُقال.
زيرو واقف أمامها، يده لا تزال تمسك بالكتاب المغلق، عيناه تراقبان إيليا بصمت.

لكنها لم تعد هادئة.

صوتها اخترق السكون، مرتجف لكنه واضح:

"أنت قاتل."

رفع حاجبه قليلاً... لم ينكر، لم يُعلّق.

تابعت، وكأن كل ما داخلها انفجر دفعة واحدة:

"أنت السبب في انفجار السيارة. السيارة التي كانت فيها أمي. لا تحاول أن تتظاهر بالبراءة."

لم يتراجع، فقط قال بصوت هادئ:

"البراءة؟ لم أكن أملكها حتى وأنا طفل."

صرخت تقريبًا:

"أمي لم تكن تحمل سلاحًا! لم تكن عدوة أحد! فقط كانت تحاول الهرب!"

نظر إليها لحظة طويلة، ثم قال:

"لكنها كانت تملك الكتاب."

رفعت نظرها نحوه، عيناها تنزفان غضبًا:

"كتاب؟! هذا ما يهمك؟! أمّي ماتت من أجلكم ومن أجل هذا الخراب!"

رفع يده، ولوّح بالكتاب الصغير، وقال بصوت منخفض لكن حاد:

"الكتاب الذي لا يُظهر ما فيه... إلا بالدم. الدم الذي نزف من أجله كثير من أصدقائك، يا إيليا."

تجمّدت.

"لا تحاولي أن ترتدي ثوب الضحية. أنتي لستِ ملاكًا."

نظرت إليه وكأن الصفعة لم تكن جسدية بل وجودية.

اقترب منها خطوة، عينيه تلمعان كأنهما تتهمانها:

"كم واحدًا خانك فقتلته؟ كم رفيقًا سقط لأنكِ أردتِ الوصول إليّ؟ كم مرة قلتِ 'هذا يستحق' فقط لتبرري الطريق؟"

همست، كأنها تحاول الدفاع عن نفسها:

"أنا... كنت أبحث عن الحقيقة."

"وأنا كذلك. والآن ها نحن هنا... نحن الإثنان قتلة."

مدّ الكتاب نحوها، ثم قال بابتسامة مرّة:

"كلانا لوّث يديه لنصل إلى هذا الغلاف."

سكت لحظة، ثم فتح ذراعيه كأنه يسلّم نفسه:

"هيا، إيليا. أخبري الشرطة. سلّميهم القاتل الكبير. أنا أنتظر."

نظرت إليه، وسلاحها في يدها، لكن يدها ترتجف.

"أليس هذا ما جئتِ لأجله؟"

لم تستطع الرد.

هو أكمل بصوت خافت، لكنه كالسهم:

"لكن قبل أن تفعلِي، فكّري: من منّا اختار هذا الطريق... ومن منّا وُلد فيه؟"

الريح صفّرت حول المبنى، كأن العالم كله صمت ليستمع إلى قرارها.

زيرو واقف، مفتوح الذراعين، كأنه يسخر من العدالة نفسها.

إيليا تمسك بسلاحها. يدها لا تزال ترتجف، لكن قلبها صار ثقيلاً بالحقيقة أكثر من أي وقت مضى.

"أخبرتُ الشرطة أنك ستكون هنا"، قالتها ببطء، كأنها تعلن نهاية المسرحية.

زيرو لم يتفاجأ. لم يظهر عليه أي توتر. فقط قال بابتسامة باردة:

"أعرف."

"أنت لم تهرب."

"ولم أنوِ ذلك."

نظرت إليه بشكّ، ثم اقتربت خطوة:

"لماذا إذًا لم تختف قبل أن آتي؟"

أخرج من سترته الصغيرة جهازًا صغيرًا. ضغط عليه بزرّ.

"لأني كنت بحاجة للوقت... كي أرسل تقريرًا."

"تقرير؟ عن ماذا؟"

ابتسم، وعيونه تلمع بشيء غريب.

"عنك."

اتّسعت عيناها.

"أرسلت للشرطة أسماء أصدقائك الذين ماتوا خلال بحثك عن الحقيقة. مواقعهم، وأدلة كافية لربطك بدمائهم."

"كاذب."

"ربما. أو ربما فقط... كنت أسرق طريقتك."

وقبل أن تتكلّم، دوّى صوت سيارة شرطة تقترب، وصفارات بدأت تخترق الضباب من بعيد.

"لقد وصلوا."

التفتت برعب.

وحين عادت بعينيها إليه...

...كان قد اختفى.

لا أثر له. لا صوت دراجة، لا ظلال. فقط الهواء... والكتاب في يدها.

ركضت نحو حافة السطح، نظرت في كل الاتجاهات. لا شيء.

صوت الشرطة بات أقرب. خطى على السلالم. أصوات رجال يصعدون.

نظرت إلى الكتاب بين يديها.

كان ينزف قطرة دم... من حيث لا تدري.

صفارات الشرطة تصمّ الأذنين.

خطى ثقيلة تصعد الدرج المعدني المؤدي إلى السطح، ثم تُفتح الباب الحديدي بقوة.

تندفع ثلاث فرق أمنية، أسلحة مصوّبة، عيون تبحث عن فريسة.

في المنتصف... تقف إيليا.

الكتاب في يدها. قطرات دم لم تزل عليه. سلاحها على الأرض، وجهها شاحب، وعقلها... يصرخ.

"ارفعِي يديكِ!"
"أسقطي على ركبتيك!"
"ابتعدِي عن السلاح!"

لم تقاوم.

رفعت يديها ببطء. نظرت إلى الفراغ أمامها، وكأنها تحاول أن ترى ظلّه... آخر لمحة من زيرو.

لكن لا شيء.

جاء أحد الضباط، كمامة سوداء على وجهه، صوته حاد:

"إيليا ... أنتِ موقوفة بتهم متعددة، منها القتل غير المبرر، والتواطؤ مع مجرم مصنف من الدرجة الأولى."

نظرت إليه، وعيناها زجاجيتان، كأن الروح انسحبت منها للتو.

"هل لديكِ شيء تقولينه؟"

سكتت.

ثم همست، كأنها لا تكلمه هو، بل تخاطب الغائب:

"ظننتني أعرف مَن أُطارده... ولم أعرف أنني كنت أُطارد نفسي."

شدّ القيود على يديها.
صوت المعدن على معصمها كان آخر لحن في هذه الليلة الرمادية.

وقبل أن يُنزلها الضابط من السطح، وقعت عيناه على الكتاب الذي كان لا يزال على الأرض... مفتوحًا على صفحة فارغة.

لكنه رآها.

هو وحده.

جملة واحدة ظهرت بالدم:

"كل قاتل يقرأ اسمه في النهاية."

الساعة تشير إلى الخامسة صباحًا.
النيون الأبيض في السقف يومض ببطء.
الغرفة ضيقة، كرسيّان، وطاولة معدنية باردة تفصل بين الجلاد والضحية... أو بين مرآتين مشروختين.

إيليا تجلس، مقيدة اليدين.
وجهها متعب. شعرها مبعثر. عيناها محمرّتان من السهر أكثر من البكاء.

يدخل يوسف.

بذلته رمادية، لكن عينيه حادتان كالسكاكين.
يحمل ملفًا نحيفًا، يضعه على الطاولة بصوت محسوب، ثم يجلس.

يصمت للحظة. يراقبها.

"لم أتوقع أن أراكِ هنا يا إيليا."

لم ترد.

"كنتِ الأفضل في دفعتك."

ما زالت صامتة.

"ثم بدأتِ تتصرفين كأن القانون عائق... لا مرجع."

رفعت رأسها أخيرًا، وقالت بصوت خافت:

"وأنت ما زلت تتصرف كأن القانون يعرف كل شيء."

ابتسم يوسف بسخرية:

"لست أنا من عُثر عليه بجانب كتاب ملطخ بالدم، وسجل مكالمات يربطك بثلاث جرائم قتل خلال أقل من عام."

اقترب برأسه للأمام، نبرة صوته تزداد حدة:

"والمجرم الأكثر خطورة في المدينة يختفي بعد دقائق من لقائك."

نظرت إليه بجمود:

"لم أقتله. هذا ما يهم، أليس كذلك؟"

"لكنّكِ لم تمنعيه من القتل أيضاً."

فتح الملف. أخرج صورة فوتوغرافية ملوّثة بالدم.

"هذه... رؤى داوود. قتلت قبل شهرين. كانت صديقتك. الشاهد الوحيد على تحرك زيرو في ذلك الحي. ميتة."

أغلق الملف بعنف.

"كل من عرف شيئًا عن زيرو... مات. إلا أنت."

قالت بهدوء قاتل:

"ربما لأنني الوحيدة التي تجرأت أن أبحث."

نظر إليها طويلًا.

"والآن؟ هل وجدتِ ما كنتِ تبحثين عنه؟"

سكتت.

ثم قالت:

"وجدتُ نفسي."

ضحك يوسف بسخرية مريرة:

"خرافة قديمة. في النهاية، كل من يطارد الوحش... يصبحه."

سكت لحظة، ثم رفع عينيه وقال ببرود:

"النيابة ستحقق معك بعد ساعة. إن كان لديكِ ما تقولينه... هذا وقتك."

نظرت إليه. ثم إلى الحائط.
قالت بصوت خافت:

"هو لم يهرب... هو فقط اختفى لأنكم لا تملكون اللغة التي يُكتب بها اسمه."

"وهل تعرفين أنتِ تلك اللغة؟"

نظرت إليه بابتسامة مكسورة:

"إنها تُكتب بالدم، يوسف."

ضوء شاشة خافتة يُضيء وجهاً في الظل.

زيرو يجلس داخل غرفة صغيرة، جدرانها سوداء، لا يوجد فيها سوى طاولة، وسبع شاشات مراقبة تعرض كل زاوية من مركز التحقيق.

على الشاشة الرئيسية: إيليا... ويوسف... داخل غرفة التحقيق.

عيناه تراقبان، لا رمشة، لا شفقة.

يرتدي سترة رمادية خفيفة، قفازين أسودين، وساعته الفضية التي تلمع كأنها تخبر الوقت في عالم آخر.

يرتشف من كوب شاي أسود، ببطء.

ثم تمتم، كأن الكلمات ليست له، بل للهواء:

"أخبرتكِ يا إيليا... المعرفة أثقل من الدم."

على شاشة صغيرة أخرى: يظهر مشهد قديم ـــ لقطة أرشيفية من حادث انفجار سيارة.

سيارة والدتها.

يعيد اللقطة، ببطء.
ينظر إليها كأنه لا يرى فقط الموت، بل يرى نقطة بداية.

صوته منخفض، كأنه يحكي لنفسه:

"حين يُكسر القلب أول مرة... يولد زيرو."

تُفتح شاشة جانبية. أحد مساعديه يظهر على الكاميرا – وجه غير واضح، مموّه.

المساعد: "المرحلة الثانية جاهزة، سيدي. لكن... إيليا ستكون تحت الحراسة المشددة."

زيرو نظر إلى الشاشة، بصوت هادئ:

"ليست هي التي سنخرِجها. بل يوسف."

المساعد: "المحقق؟"

زيرو ابتسم، لأول مرة.

"كل لعبة تحتاج إلى قطعة تنقلب على صاحبها."

أغلق الشاشات واحدة تلو الأخرى، ووقف.

ثم قال لنفسه:

"ما زال في اللعبة دم... والكتاب لم يُغلق بعد."

خرج من الغرفة، تاركًا الظلال تبتلع الضوء الأخير.

الساعة تشير إلى السابعة صباحًا.
أشعة الشمس لا تخترق النوافذ المغطاة بالستائر الثقيلة.
يوسف يجلس خلف مكتبه، ينظر في فراغ الورق أمامه... لكن عينيه تبحثان في مكان آخر.

ملف إيليا مفتوح. صور القتلى. تقارير الطب الشرعي. قائمة الاتصالات.

يده تعبث بقلم لم يكتب به شيئًا منذ ساعة.

ثم فجأة، أخرج من جيب سترته شيئًا صغيرًا.

ورقة مطوية... تركتها إيليا سرًا أثناء التحقيق.

فتحها. سطر واحد فقط:

"هو لم يقتلهم كلهم."

قرأها مرارًا. الكلمات تحترق ببطء في صدره.
تذكر تعبير وجهها، حين قالت "المعرفة تُكتب بالدم".

نهض. بدأ يمشي في المكتب.

فتح ملف رؤى داوود، الضحية التي تحدث عنها سابقًا.

ثم فتح ملفًا آخر... شاب يُدعى "نزار" — كان صديقًا لإيليا ومات في ظروف غامضة.

أخرج خريطة المدينة. بدأ يرسم دوائر حول أماكن الجرائم.

ثم تراجع خطوة.

"مستحيل..." تمتم لنفسه.

كانت هناك نقطة تتقاطع فيها كل الدوائر...
مبنى مهجور في الحي الصناعي القديم.
ليس بعيدًا عن المكان الذي التقت فيه إيليا بزيرو ليلة الأمس.

هتف بمساعده من الخارج:

"هاتِ كل التقارير الخاصة بالمبنى رقم C-17 في القطاع الصناعي الثالث. فورًا."

المساعد: "لكن سيدي، هذا المبنى أُغلق منذ خمس سنوات."

يوسف، بعينين لم تعد تثق بأي تاريخ:

"إذن لن يمانع أحد أن نلقي نظرة."

جلس مجددًا، همس لنفسه وهو ينظر إلى خريطة الجرائم:

"إن كانت إيليا فخًا... فقد تكون أيضًا المفتاح."

السماء تمطر خفيفًا.
رياح باردة تمزق الستائر الزجاجية الضخمة في الشرفة.
فيلا ضخمة، أنيقة، ذات تصميم زجاجي معدني، محروسة بالكاميرات والأسوار الكهربائية.

داخل غرفة مكتب مظلمة، يقف رجل سبعيني يرتدي بدلة خمرية اللون، وبيده كأس نبيذ داكن.
اسمه غرايفز آشتون – رئيس فرع المنظمة العالمية في نيوزيلندا، أحد أعمدة السلطة غير الشرعية.

عيناه تتفحصان تقريرًا وصل للتو.
صورتان فقط: إيليا... وزيرو.

غمغم غرايفز بازدراء:

"هذا الوغد يعيث فوضى في كل مكان، والشرطة لا تمسكه، كأنه شبح."

صوت خلفه، ناعم وخافت، يتسلل عبر الجدار:

"الأشباح لا يُمسكون يا سيد آشتون... لكنك الآن تراهم."

استدار غرايفز بسرعة.
لم يكن أحد هناك.

ثم فجأة... تنطفئ الأضواء.

الصمت.
ثم... صوت خطوات بطيئة على الأرضية الخشبية.

غرايفز يسحب مسدسه من الدرج.

لكن قبل أن يرفع يده...
ظهر زيرو خلفه.

يرتدي معطفًا أسود، وساعة تلمع.
وجهه لا يظهر بوضوح، الظلال تبتلعه كعادتها.
لكن عينيه... ثلجيتان.

قال بهدوء قاتل:

"أخطأتَ حين أرسلت من يحاول قتل إيليا."

غرايفز ضحك، رغم العرق البارد على جبينه:

"لا أؤمن بالقصص. ولا بالأشباح. هل جئت لتقتلني من أجل فتاة؟"

اقترب زيرو أكثر.

"جئت أُنهي فصلاً من كتاب والدتها."

رفع غرايفز السلاح وأطلق.

طلقة واحدة.

لكن زيرو لم يكن هناك.

ظهر خلفه مجددًا، هذه المرة... يده على كتف غرايفز.

همس:

"هناك نوع من القتل... لا صوت له."

طعنة.

بسلاح رفيع، مخفي داخل كمّه، يزرعه في الجانب السفلي من القفص الصدري.

غرايفز شهق. عيناه اتسعتا.

ثم سقط على الأرض ببطء، كأن الزمن نفسه يُبطئ سقوطه.

زيرو انحنى بجانبه، همس في أذنه وهو يحتضر:

"اسمي آخر ما سيرنّ في أذنك."

ثم قام.

غادر من باب الشرفة، المطر يبلل كتفيه... ولا كاميرا تعمل.

على الحائط، كتب شيئًا بدم غرايفز:

"فصل نيوزيلندا أُغلق. – Z"

مكان اخر

غرفة مظلمة، جدرانها من الحديد، شاشة عملاقة تعرض صورة جثة غرايفز ملقاة على الأرض، وبجانبها التوقيع الدموي:

"فصل نيوزيلندا أُغلق. – Z"

أربعة رجال وأمرأتان يجلسون حول الطاولة، وجوههم مغطاة بالظل.

الرئيس المؤقت للفرع الأوروبي – رجل نحيف بنظارة سوداء – يتكلم بصوت حاد:

"لقد اخترق واحد فقط أحد أعلى مواقعنا الأمنية في العالم وقتل غرايفز كما لو كان لا شيء!"

امرأة من جهة آسيا تقول بجمود:

"ليس واحدًا فقط. هذا زيرو. الذي لا نملك له اسمًا حقيقيًا ولا ملفًا بيومتريًا. لقد قلنا من قبل: إن لم نوقفه في الداخل، سينقل الحرب إلى أعماقنا."

رجل من جهة أمريكا الجنوبية يتمتم:

"قتل إيليا أصدقاءها ليكشف الكتاب... قتل غرايفز. التالي قد يكون أحدنا."

رئيس الفرع الأوروبي يضرب الطاولة:

"نريد رقبته. الآن. أعلنوا حالة 'الظل الأسود'. كل شخص على اتصال بزيرو يصبح هدفًا. حتى الشرطي... يوسف."

يوسف يقرأ ملفًا جديدًا وصله من الاستخبارات الدولية.

عنوانه:
"اغتيال غرايفز آشتون – توقيع: Z"

ينظر إلى الصور.
الطريق، الجثة، الجدار الملطخ بالدم.

يتراجع في الكرسي، ثم ينظر نحو مرآة مكتبه.
يتذكّر كلمات زيرو لإيليا:
"المعرفة أثقل من الدم."

ثم ينهض.

يمشي نحو الحائط ويضع بجانب خريطة الجرائم السابقة دبوسًا جديدًا فوق:
أوكلاند – نيوزيلندا.

يتّصل على مساعده:

"ارسل لي كل ما لدينا عن مشروع 'الظل الأسود'. فورًا."

المساعد متردد:

"سيدي... هذا مشروع محظور... وحتى الرؤساء لا–"

يوسف يصرخ:

"افتحه، أو سأفتح فم هذا البلد كله على ما أخفوه عنا!"

يغلق الخط.

ثم يهمس لنفسه:

"زيرو لا يتحرك عبثًا... وإذا كان غرايفز ضحية، فربما يكون الكتاب هو المفتاح."

ينظر إلى صورة إيليا في الزنزانة.

"لكن لماذا هي؟ ولماذا الآن؟"

ثم يجلس، يفتح دفترًا قديمًا، ويكتب:

"إيليا ليست القاتلة الوحيدة... وقد لا تكون الضحية الوحيدة."

ضوء خافت.
صفوف طويلة من الملفات الورقية والرقمية.
أجهزة قديمة، بعضها لا يعمل، وصمت مريب يخنق المكان.

يوسف يدخل من باب خلفي، يحمل بطاقة أمنية "مسروقة" من أحد الضباط.

يتلفّت. لا أحد.

يتوجه إلى الخزنة الحديدية الخاصة بالملفات السرية – عليها ختم:
"الظل الأسود – وصول مصرح به فقط للمستوى S"

يدخل الكود السري. يفتح القفل.

ملفّ ضخم بلون أحمر غامق، عنوانه:
"مشروع الكتاب – وحدة الظلال"

يفتحه ببطء. أول صفحة:

"الكتاب الذي لا تُكتب كلماته إلا بدماء تنتمي إلى السلالة الأصلية."

يوسف يرفع حاجبيه. يهمس:

"هذا ليس تحقيقًا... هذا طقس."

يتابع الصفحة التالية:

"أُخفي الكتاب من قبل امرأة تُدعى سيرين ماجد (اسم والدة إيليا)."

"كانت ضمن وحدة سرية تابعة للمنظمة قبل أن تنشق وتُقتل في حادث سيارة مدبّر."

وفي الزاوية... يقف رجل نصف وجهه مغطّى.
شعره الناعم... ساعته الفضية.

يوسف يهمس:

"زيرو كان منهم..."

يتسارع قلبه. يعود للقراءة:

"تم استخدام دماء المقرّبين من سيرين لفتح بعض صفحات الكتاب.
لكن السجلات تشير أن من نجا... فقط ابنتها، إيليا."

يوسف يقف فجأة.
يتجه إلى مكتبه وهو يكتب ملاحظة في دفتره:

"زيرو لم يقتل من أجل السلطة... بل لحماية إرث غامض.
وإيليا... ربما كانت الوريثة دون أن تدري."

ثم ينظر إلى الكاميرا المعلقة في السقف. يبتسم ببرود:

"الآن... أحتاج أن أسبق الجميع بخطوة."

الرياح تصفر بين الزوايا الصدئة.
ضوء خافت من نوافذ الطابق الرابع لمركز الشرطة، حيث زنزانة إيليا، ومكتب يوسف.

على السطح، يقف زيرو.
يلبس معطفه الأسود، وجهه نصفه مغطّى، والعين التي ترى كل شيء... مفتوحة.

يحمل منظارًا حراريًا، يراقب.

أولاً: مكتب يوسف.
يراه يتنقل من ملف إلى ملف، يدوّن ملاحظات... يرفع الهاتف، ثم يغلقه.
يتأمل زيرو للحظة، ثم يهمس:

"بدأتَ تحفر، يوسف... السؤال هو، إلى أي عمق ستتحمل؟"

ثم يحوّل المنظار...

زنزانة إيليا.

يرى جسدها ساكنًا، لكنها مستيقظة.
تمسك الورقة التي أُعطيت لها سرًا قبل دقائق من قبل أحد الحراس.
يراقب رد فعلها، عينيها المتسعتين، ثم قبضتها التي شدت على الورقة.

زيرو يبتسم ببطء، دون سعادة... فقط إدراك.

"ما بيننا لم ينتهِ يا إيليا... لكنكِ الآن تعرفين أن لا أحد طاهر."

يرفع جهاز إرسال صغير.

صوت مشوّش يخرج منه...
تسجيل مباشر من غرفة اجتماعات المنظمة في الخارج.

"يجب أن تُباد كل الأطراف المتصلة بالكتاب. إيليا. يوسف. حتى الفرع الألماني إن تطلب الأمر."

زيرو يضغط زر التسجيل. يحفظ الصوت.

ثم يخرج من جيبه شيئًا صغيرًا.

قطعة من الكتاب القديم.

ينظر إليها طويلاً. الكلمات غير واضحة... لكنها بدأت تظهر باللون الأحمر الداكن.

يغمغم:

"كلهم يركضون خلف الحقيقة... بينما الحقيقة تنزف تحت أقدامهم."

ثم يرمي عود سيجار غير مشتعل من السطح...
في الأسفل، سيارة تتفجر فجأة وسط الشارع الخالي.

لا أحد قُتل.
فقط رسالة:

"أنا أراقب. – Z"

صوت انفجار يهزّ الحيّ كله.
زجاج النوافذ يهتز.
رجال الشرطة يندفعون نحو الشارع، بعضهم مسلح، آخرون يصرخون:

"سيارة! انفجرت أمام المدخل الجانبي!"

يوسف يندفع من مكتبه، هاتفه في يد، وسلاحه في الأخرى.
ينزل الدرجات بسرعة، يتجاوز الممرّ، ويصل إلى مكان الانفجار.

سيارة محترقة تمامًا. لا أحد بداخلها. لا ضحايا. لا دماء. فقط... نار وصمت.

ثم يقترب أحد الضباط منه، وجهه مصدوم:

"سيدي... هذا كان سيارتك."

يوسف يصمت لثانيتين.

ثم يقول ببرود وهو ينظر إلى النيران:

"زيرو لا يقتل عبثًا."

يتقدّم أكثر.

على الأرض، أمام السيارة، وُضع شيء بدقّة: ورقة صغيرة. محروقة من الأطراف.
عليها توقيع واضح:
Z

يأخذها يوسف، يقرأ ما كُتب بخط يدوي حاد:

"أنت تبحث عن الحقيقة؟
اجعلهم يبحثون عنك أيضًا."

يوسف ينظر حوله.
كاميرات الشارع؟ معطلة.
شهود؟ لا أحد رأى شيئًا.
زيرو كان هنا... وخرج كما جاء: بلا أثر.

ثم يسمع صراخًا من داخل المبنى.

"يوسف! إيليا تطلب رؤيتك... فورًا!"

يركض عائدًا، عقله كدوامة.

"إيليا تلقت رسالة... زيرو فجّر السيارة... المنظمة تلاحقني...
من الصياد؟ ومن الفريسة؟"

وفي داخله، تتكوّن الفكرة.

"ربما لا أقبض على زيرو...
لكنني قد أضطر أن أصبحه."

الزنزانة مظلمة، إلا من ضوء خافت يتسلل من المصباح العلوي.
إيليا جالسة على الأرض، تمسك بورقة صغيرة محروقة الأطراف، عينها تركز على الكلمات المكتوبة بدقة.

تتنفس ببطء، ثم تهمس بصوت منخفض:

"زيرو... لا يترك شيئًا صدفة."

تتلفّت نحو النافذة الصغيرة، كأنها تنتظر شيئًا أو أحدًا.

تبدأ في قراءة الورقة مرة أخرى، تحاول فك الشفرة بين السطور:

"كل من يقترب من الحقيقة، يصبح هدفًا.
لا تثقي بمن يراكِ ضحية، أنتِ أكثر من ذلك.
اللعبة أكبر مما تعتقدين."

تمسك رأسها بيديها، ثم تقرر:

"لن أكون مجرد قطعة على رقعة الشطرنج."

تنهض ببطء، تلمس جدار الزنزانة بيدها، وتبتسم ابتسامة خفيفة لكنها مليئة بالعزم.

"هذه اللعبة لم تنتهِ بعد... وأنا سأكتب نهايتها."

ثم تهمس لنفسها:

"الكتاب... الحقيقة... كل شيء ينتظرني."

2:48 صباحًا

الليل ساكن، المكان بعيد عن أعين القانون.

يوسف يدخل إلى مبنى متصدع، يحمل حقيبة صغيرة ومعه رجل في الأربعينات، أصلع، يضع نظارة سميكة ويدخن سيجارة بتوتر.

الرجل ينظر له، يقول بصوت خافت:

"كنتَ آخر من توقعت أن أراه هنا... سيدي الضابط."

يوسف يرمي له الظرف فوق الطاولة المعدنية.

"لا تناديني سيدي. واعتبر هذا آخر لقاء بيننا... لو نجح."

الرجل يفتح الظرف... مال، كثير منه.

"ماذا تريد؟"

يوسف يخرج ورقة مكتوب عليها رمز معقّد، وصورة ضبابية التقطت من كاميرا أمنية قديمة.

"أريد تتبع هذا التوقيع الإلكتروني... والزمن."

الرجل يتوقف عن التدخين، ينظر له بذهول:

"هذا توقيع زيرو... هذا انتحار."

يوسف يرد ببرود:

"أنا لم أعد أؤمن بالحياة. أؤمن فقط بالنتيجة."

الرجل يضحك بسخرية:

"حتى لو عثرت عليه... ماذا بعد؟ لن تستطيع محاكمته، لن تلمسه، لن تجده أصلاً."

يوسف يقترب، صوته أكثر قسوة:

"ما أريده ليس القبض عليه... أريد أن أفكر مثله.
أن أراه من الداخل... وأدرك ما لا يريد لأحد أن يدركه."

صمت... ثم ينظر يوسف حوله، ويتأكد من غياب الأجهزة الأمنية.

ثم يخرج قرصًا صلبًا صغيرًا.
يضعه أمام الرجل.

"هذه ملفات من المنظمة... غير مصرح بها.
وفيها شيء عن "الكتاب"... وعن وحدة الظلال."

الرجل ينظر إلى القرص بعيون واسعة:

"كيف حصلت عليه؟"

يوسف لا يرد.

الرجل يقول ببطء:

"هذا... ليس مجرد بحث. هذا بداية لحرب."

يوسف يشعل سيجارة – لأول مرة.

"لا مشكلة. أنا تعبت من الوقوف في صف القانون...
حان وقت اللعب في الخفاء."

مصنع مهجور / ضواحي المدينة

الساعة 4:12 فجرًا

المطر يهطل بخفة.
ضوء السيارة يتوقف عند بوابة متهالكة، صدئة، عليها شعار شركة كيميائية مغلقة منذ 12 عامًا.

يوسف يخرج من السيارة، يرتدي قفازات سوداء، وحقيبة على ظهره.
ينظر إلى المبنى، يتقدم بحذر، يمسح المنطقة بجهاز كشف إشارات.

"لا أجهزة مراقبة نشطة... جيد."

يدخل من فتحة في السياج، يمشي عبر الممرات الضيقة، الغبار يكسو كل شيء.
في الداخل، يلاحظ غرفة صغيرة مغلقة بباب معدني.

يفتح الباب... ببطء.

غرفة شبه مظلمة، وفي وسطها طاولة.
وعلى الطاولة... صندوق خشبي.
وبجانب الصندوق... شاشة صغيرة تعمل بالطاقة الذاتية.

يوسف يقترب، يفتح الصندوق بحذر.

في داخله: كتاب قديم، عليه ختم أحمر مشطوب، وبجانبه رصاصة مطلية بالذهب.

ثم... تشتغل الشاشة تلقائيًا.

ويظهر عليها وجه زيرو، صورة ثابتة، لا تتحرك.

ثم يبدأ صوت مسجّل، عميق، بارد:

"أحسنت، يوسف. وصلت أخيرًا.
لكن تذكر... أنت لست صائدًا، بل طُعم."

يوسف يشد قبضته.

الصوت يكمل:

"الكتاب أمامك، لكنك لا تستطيع قراءته.
لأنه لا يُقرأ بالحبر... بل بما ضاع منكم جميعًا."

ثم تظهر عبارة مكتوبة بخط يدوي على الشاشة:

"الدم وحده يترجم الصمت."

تُفتح فتحة صغيرة بجانب الطاولة فجأة.
داخلها ظرف أسود، يحتوي على صور مطبوعة — لأشخاص قُتلوا سابقًا...
وجوه مألوفة.

صور أصدقاء إيليا.

وفي الزاوية، مكتوب:

"أنت تحقق يا يوسف... لكنها كانت تنفّذ.
والقاتل الحقيقي... أحيانًا يرتدي شارة الشرطي."

يوسف يهمس وهو ينظر حوله:

"كنت تعلم أنني قادم... وتريدني أن أتابع."

ثم، فجأة، تُقطع الكهرباء عن المكان.
تُغلق الشاشة.
والهدوء يعود.

يوسف يخرج من الغرفة... لكن الآن، شيء في داخله تغيّر.

لم يعد فقط يطارد زيرو.
إنه يتساءل إن كان... يتحول إليه.

الساعة 5:03 صباحًا

غرفة واسعة مظلمة، الجدران مغطاة بشاشات وأوراق معلقة، خرائط، رموز معقدة.
كاميرات مراقبة تبث مباشرة من عدة أماكن في المدينة.

في المنتصف، يجلس زيرو على كرسي معدني، أمامه شاشة كبيرة.
يراقب تسجيلًا... هو نفسه الذي رآه يوسف قبل ساعة.
لكن هذه المرة، الصورة أوسع — وتكشف أن يوسف كان مراقبًا من اللحظة الأولى.

زيرو يبتسم.

بجانبه تقف امرأة، وجهها نصف مغطى بقناع أبيض.

تسأله بصوت هادئ:

"هل تريدني أن أوقفه؟"

يرد زيرو دون أن ينظر إليها:

"لا. بل أريد منه أن يقترب أكثر."

تنظر إليه باستغراب، لكنه يتابع:

"كلما اقترب... أصبح مثلنا أكثر.
عقله بدأ يتآكل. شكوكه تنهشه. وسرعان ما سيتخذ قرارات لا يغفرها القانون."

ينهض من مكانه، يتجه إلى لوح زجاجي مغطى بخريطة رقمية.

"يوسف ليس عدوي، لكنه خطر."

يلمس نقطة حمراء على الخريطة.

"الخطر لا يُقتل دائمًا... أحيانًا، يُعاد تشكيله."

المرأة تسأله:

"وماذا عن إيليا؟"

زيرو يصمت لثوانٍ.

ثم يقول:

"إيليا؟ لقد كانت تحاول كشف السر... لكنها لم تسأل السؤال الصحيح بعد."

ينظر إلى صورة لها وهي في الزنزانة. وجهها مرهق، لكن عينيها لم تنطفئا.

"حين تسأل: من كانت أمي حقًا؟...
عندها تبدأ الحقيقة."

ثم يستدير، يلتقط سكينًا صغيرة من الطاولة، يرسم بها دائرة على سطح الخشب.

"لقد بدأت الجولة الجديدة.
والدم فقط... سيُظهر الحبر المخفي."

القاعة مظلمة جزئيًا، مضيئة فقط بجدران من الشاشات الضخمة.
تظهر عليها وجوه متعددة، تمثّل قادة منظمات استخباراتية ومجموعات ظلّ من مختلف أنحاء العالم:
ألمانيا، روسيا، الصين، الولايات المتحدة، اليابان، البرازيل، جنوب إفريقيا، تركيا...

في منتصف القاعة، تقف امرأة ترتدي بدلة رمادية داكنة، بعين واحدة زجاجية، وصوتها حاد كحد السكين.

إنها "المديرة" ـــ قائدة المنظمة الأم.

تتكلم بهدوء، وتفتح عرضًا مرئيًا على الشاشة خلفها.
يظهر اسم واحد فقط، باللون الأحمر:

Z E R O

ثم تبدأ صور تظهر: انفجارات – جثث – ملفات محجوبة – صور مقربة من كاميرات أمنية – توقيعه الرقمي – صفحة من "الكتاب" المشفّر.

المديرة:

"الاسم: غير معروف. الأصل: مجهول.
لكن ما نعرفه يكفي لإصدار حكم بالإعدام على كيانٍ يفوق التصنيف."

تُعرض صورة الرجل الذي قُتل في نيوزيلندا ـــ أحد أعمدة المنظمة.
ثم صور لأفراد تم اغتيالهم في مدن مختلفة... وكلهم كانوا مرتبطين إما بالكتاب أو بالأبحاث المحظورة.

المديرة (تتابع بنبرة صارمة):

"لقد اخترق دفاعاتنا. أسقط رموزنا.
الليلة... لم يعد 'زيرو' مشكلة للمنظمة وحدها.
بل تهديدًا كونيًا لجميع شبكات الظل."

يبدأ أحد القادة في الاعتراض، وجهه يظهر من شاشة في بكين:

"لكن هذا الرجل... ذكي بدرجة لا يمكن مواجهتها مباشرة. كل من اقترب منه... اختفى."

المديرة ترد بسرعة:

"لهذا السبب... لن نطارده وحدنا."

تضغط على زر... تظهر خريطة الأرض، وعليها إشارات متوهجة لمراكز عسكرية واستخباراتية مختلفة.

"نعلن رسمياً: 'Z-Protocol'.
تحالف جميع القوى المظلمة، من أجل تصفية هذا الشبح."

ترتفع أصوات همس بين القادة، ثم يبدأ بعضهم بالموافقة.

"كل منظمة، كل دولة، كل قاتل مأجور وكل جاسوس محترف...
اعتباراً من هذه اللحظة... زيرو هو العدو الأول.
الهدف: تصفيته أو أسره.
الحالة: حرجة.
الصلاحيات: مفتوحة."

تظهر صور مقرّبة ليوسف، وإيليا، وملف عن "الكتاب".

المديرة تنهي الاجتماع بكلمات باردة:

"لن يُهزم زيرو بالرصاص فقط... بل بالخيانة.
من يعرفه... سيُستخدم ضده.
وكل من اقترب منه... سيموت قبله."

الشاشات تنطفئ واحدة تلو الأخرى، ويبقى الضوء الأحمر على اسمه:

Z E R O

مقر التحقيق / الطابق السفلي – الساعة 10:14 صباحًا

يوسف يجلس أمام شاشة ضخمة في غرفة التحقيقات.
وجهه شاحب، يداه ترتجفان ببطء وهو يقرأ الأخبار العاجلة:

"تحالف عالمي ضد زيرو... تصفية مستهدفة... صلاحيات قتل مفتوحة..."

يتنفس ببطء، يهمس:

"أخيرًا... كلهم عرفوا من هو."

فجأة، يدوّي إنذار أحمر في أرجاء المبنى.

أضواء الطوارئ تشتعل.
شاشات الحائط تتحوّل إلى شريط واحد:

"اختراق نظامي في جميع مراكز الاحتجاز المشفّرة – السجون A وB وG في حالة فشل كامل"

يوسف ينهض فورًا، يصرخ للضباط من خلف الزجاج:

"ما الذي يحدث؟ أغلقوا البوابات فورًا!"

يجيبه أحدهم بوجه مذعور:

"لا يمكن! النظام لا يستجيب... وكأن أحدًا ألغى الجدران نفسها!"

تنقطع الكهرباء لثوانٍ.
ثم تعود... لكن كل الشاشات تعرض رمزًا واحدًا:

Z

يوسف يهمس:

"لا... لا يمكن أنه..."

الزنازين تفتح وحدها.
البوابات تنزلق دون صوت.

إيليا تفتح عينيها، تنظر حولها.
الباب أمامها مفتوح.

صوت خافت يصدر من مكبر الصوت:

"استيقظي... الحرية تنتظرك."

تنظر إلى الكاميرا في زاوية السقف.
تبتسم رغماً عنها، وتهمس:

"أنت... لا تتوقف."

تخرج، تمر بين السجناء الفارين، تتجه مباشرة نحو المخرج الجنوبي، حيث سيارة سوداء تنتظرها.

على زجاج السيارة... ملصق صغير جدًا.

.Z – DONE

يوسف يضرب الحائط بقبضته:

"كان يعرف أن إعلان الحرب سيقوده إلى إيليا... فسبقنا بخطوة."

ينظر إلى الضباط:

"أريد كاميرات المراقبة، الأقمار الصناعية، كل تحركات السجناء..."

يقاطعه أحدهم:

"سيدي... لا يوجد أثر. كأنهم لم يكونوا هنا من الأساس."

يوسف يهمس، وهو يفهم الدرس مرة أخرى:

"زيرو لا يهرب.
هو من يفتح الأبواب... ويتركنا نحن نركض خلفه."

السيارة تنطلق بسرعة في طريق شبه مهجور، الزجاج معتم، وكل شيء حول إيليا يبدو وكأنه من حلم.
صمت... سوى صوت المحرك.

فجأة...
تشتغل شاشة صغيرة أمامها على المقعد الخلفي. تظهر كلمات، بخط أبيض على خلفية سوداء:

"صباح الخير، إيليا."

ثم سطر آخر:

"سأعيد لك ما أرادوا دفنه... ولكنكِ وحدكِ من يقرر إن كنتِ مستعدة لرؤية الحقيقة."

وجهها يتجمد. لا تعرف إن كانت خائفة... أو غاضبة... أو فضولها قد غلب كل شيء.

ثم يظهر فيديو قصير.

فيه:
امرأة، تشبه إيليا بشكل مخيف، تقف في مختبر قديم، تحمل كتابًا أسود، وتقول:

"الحبر لن يظهر... إلا حين يُروى بالدم. لا تدعيهم يأخذونه منك."

تشهق إيليا. تهمس:

"أمي؟!"

ينتهي الفيديو، وتُغلق الشاشة تلقائيًا.

السيارة تنعطف نحو طريق غير مرئي على الخريطة.
الصوت الخافت يعود من مكبر خفي:

"الذاكرة ليست دائمًا في الرأس يا إيليا... أحيانًا تكون مكتوبة في الدماء."

غرفة مليئة بأشخاص يصرخون في سماعات الرأس، شاشات مليئة بشيفرات وأكواد تتقلب بسرعة جنونية.

المديرة تدخل بخطى غاضبة، تتجه مباشرة إلى المسؤول التقني.

المديرة:
"قولوا لي إنها محاكاة."

التقني (مذهول):
"سيدتي... هذا ليس اختراقًا عاديًا. النظام لم يُخترق..."
"لقد استُبدل بالكامل خلال ثانيتين. الشيفرة التي كانت تحمينا... أصبحت طوع أمره."

تضرب المديرة الطاولة:

"وكيف دخل؟!"

يرد آخر من الخلف:

"عن طريق أحد أجهزتنا القديمة... تلك التي كانت مرتبطة بالبرنامج الأسود Zeta-0، قبل أن يُلغى."

المديرة تصمت لثوانٍ، تتراجع بخطوتين.

"Zeta-0... هذا يعني أن..."

تتمتم:

"زيرو لم يهرب من المنظمة...
المنظمة هي من خرجت منه."

غرفة عمليات هائلة، شاشات عملاقة تعرض خارطة رقمية للكرة الأرضية.
أضواء حمراء بدأت تظهر في مركز معين: جزيرة صناعية مهجورة جنوب المحيط الهادئ.

الصوت الآلي للقيادة المركزية يعلن:

"هدف Z-001 تم تحديده. الموقع مؤكد بنسبة 98.6%. الوضع: مؤهل للضربة."

الجنرال "ماتسودا" من طوكيو:
"فريق شينرا مستعد للإقلاع. لدينا قمر صناعي فوق الموقع خلال 6 دقائق."

العميلة "لافاييت" من فرنسا:
"سيبدأ القصف الإلكتروني لتشويش إشارات الخروج خلال 120 ثانية."

"رايلي" من وحدة الظلال البريطانية:
"الهدف لا يجب أن يغادر الجزيرة. أي تحرّك، يُسقط فورًا."

أكثر من 70 طائرة بدون طيار هجومية تندفع نحو الموقع المحدد.
في نفس الوقت، غواصات أمريكية تتحرك من تحت الماء باتجاه السواحل القريبة.

الأوامر كانت واضحة:

"القبض إن أمكن... التصفية إن لزم."

"أمضى سنوات يُخفي أثره... لكنه لم يكن يتخفى."
"كان ينتظر أن نجده."

يرد مساعده:

"هذا فخ؟"

القائد يبتسم بمرارة:

"هذا زيرو."

داخل مصنع مهجور – الساعة 02:20 صباحًا

في الظلال، على سطح مبنى صدئ، يظهر ماستر زيرو.

يرتدي قناعًا نصف شفاف، ومعطفًا أسود طويل.
ينظر للسماء... يراقب الطائرات تقترب.

يهمس:

"أخيرًا..."
"الكل جاء للموت في نفس اللحظة."

يمد يده، يضغط على جهاز صغير بحجم راحة اليد.

أجهزة التشويش تبدأ في الانهيار.
طائرة بلا طيار تهوي... ثم أخرى.

تشتعل الأنظمة فجأة في كل مراكز العمليات حول العالم.

تظهر على الشاشات:

"خطأ في الاتصال... توقيع رقمي غير مصرح...
".Z-Override Active

غرفة القيادة المركزية

المديرة تصرخ:

"أوقفوا كل شيء فورًا!"

يرد التقني:

"سيدتي، نحن لا نتحكم في شيء! لقد تولّى كل الشبكات بنفس التوقيع الذي أرسلناه إليه!"
"كأننا سلّمناه مفاتيح العالم!"

يوسف ينظر إلى الشاشة التي بدأت تتشوش، تقارير تومض وتتساقط كأوراق محترقة.
يشاهد إشعارًا أحمر:

"Z-Override – السيطرة الكاملة لم تعد في حوزتنا."

يرمي الكرسي جانبًا ويصرخ:

يوسف:
"كنا نطارده... وهو كان يوجهنا. لم يكن يختبئ... كان يقود العرض من البداية!"

إيليا، التي كانت تراقب من زاوية الغرفة، تهمس:

"قال لي... المعرفة أثقل من الدم."

تتجه نحوه:

"أنا آتية معك. إذا انتهى هذا، فليكن وأنا أنظر في عينيه."

يوسف يحدق بها لحظة، ثم يومئ لها:

"انطلقي. سنأخذ الطائرة الخاصة، الآن."

يوسف يتصل بمركز عمليات ميداني:

"ثبّتوا الموقع. لا تطلقوا النار. لا أحد يطلق أي شيء حتى أصل أنا بنفسي."

ينظر إلى إيليا:

"قد نكون آخر من يتحدث إليه... قبل أن يسقط العالم أو يسقط هو."

زيرو واقف، هادئ تمامًا.
الكاميرات تعمل، من كل الزوايا.

فجأة...
كل شاشات العالم تتحول لبث مباشر.

في الشوارع.
في المكاتب.
في غرف النوم.
في مراكز المراقبة.
حتى داخل الطائرات... الكل يرى وجهه.

ماستر زيرو.

البث المباشر

"أيها العالم..."

"منذ سنوات، كنتم تحكمون من وراء ستار... باسم العدالة، وبأدوات الجُبن."

"قلتم إنني مجرم... وأنا لم أنكر ذلك يوماً."

"لكنني كنت مرآة... لما أنتم عليه."

"أنا صنيعتكم...
أنا ناتج كل قرار قذر ووجه مبتسم في المؤتمرات.
أنا من قتلتموه مرارًا، وأعدتم صناعته لأنكم لا تملكون الجرأة على الموت... ولا على الحقيقة."

"لن أختبئ بعد الآن. لن أهرب. أنا هنا... في أعلى نقطة من خرابكم."

"تعالوا."
"اقتلوني."
"لكن اعلموا..."
"أن موتي سيكون بداية سؤال... لا إجابة له."

ينظر للكاميرا، وعيناه تشعّان بعزيمة هادئة، وغمسة وجعٍ قديم:

"اسمي زيرو... ولست وحدي."

ثم تنطفئ الكاميرات.

في الطائرة / يوسف وإيليا ينظران للشاشة

إيليا تهمس:

"لم يكن يهرب أبداً."

يوسف يغمض عينيه، ببطء، ويقول:

"لقد كنا نركض في متاهته."

وسط أطلال المصنع المهجور – الساعة 04:16 فجرًا

الغبار لا يزال يهبّ من رياح البحر، والسكون يلفّ المكان ككفن.

الدوّامات الهوائية تلتف بين الحطام... والكل واقف.

يوسف يتقدّم ببطء.
إيليا خلفه، عيناها تلمعان، لا دموع... فقط وجع وارتباك.

قادة من مختلف الجنسيات والرتب محيطون بجثة زيرو، لا أحد يقترب... لا أحد يلمس.

الجسد ممدد بهدوء.
معطفه الأسود ترفرف أطرافه.
الدم يتسرب من صدره، لا كثيرًا... يكفي ليجعل الموت مؤكدًا.

يوسف ينزل على ركبتيه قربه.
ينظر إلى وجهه المكشوف...
هادئ. وكأنه نائم.

يوسف (بصوت منخفض):
"لم تُقتل... اخترت النهاية بنفسك."
"حتى موتك كان قرارًا... وليس نتيجة."

إيليا تهمس من خلفه:

"لكنه أراد أن نراه يسقط... حتى نرى أنفسنا."

قائد إحدى الوحدات الآسيوية:
"ماذا نفعل؟ هل نأخذ الجثة؟"

يوسف (ينهض بهدوء):
"لن يذهب إلى أحد."
"زيرو... كان فكرة. وليس جسدًا لتعرضوه في متحف النصر."

إيليا تمشي نحوه، تجثو بجانبه.

تأخذ شيئًا صغيرًا من جيب معطفه...
الكتاب.
كتاب والدتها.

تفتحه...
وتنظر إلى الصفحات الملطخة بالدم.

كلمات بدأت تظهر ببطء... سطور سرية مكتوبة بلغة قديمة.

يوسف ينظر إليها.
"هل ترين شيئًا؟"

إيليا (بهمس):
"نعم... وأتمنى لو لم أره."

الجميع يغادر المكان

صمت.

أفراد المنظمات ينسحبون، لا كلمات.
فقط أصوات خطوات... وأنفاس ثقيلة.

يوسف يسير خلفهم، لكن عينيه تبقيان على إيليا.

وإيليا... تبقى واقفة أمام جسد زيرو، تقرأ.

تظهر عبارة على الشاشة:

"أفكار لا تموت بموت أصحابها... بل تبدأ."

الظلام يسود مجددًا، والمكان أصبح فارغًا تقريبًا...
الجسد لا يزال في مكانه.
إيليا تغلق الكتاب وتبدأ بالانسحاب، مع لمحة من الشك في عينيها... لكن التعب يغلبها.

فجأة...
رجل يرتدي قناعًا طبّيًا وسترة سوداء يظهر من خلف الأنقاض.

ينزل على ركبتيه، يتحقق من النبض... ثم يومئ بهدوء.
اثنان آخران يسحبون الجثة إلى الظل... ويختفون.

جهاز عرض ضوئي يُظهر ما حدث في الجزيرة.

رجل يجلس على كرسي جلديّ، أمامه شاشة كبيرة، في يده كوب قهوة سوداء.

الضوء يعكس جزءًا من وجهه فقط...
شعره الأسود الطويل...
عينيه الباردتين...
وصوته...

زيرو.

زيرو – يضحك بهدوء

"قتلوني."

يرتشف من الكوب...
ينظر إلى رجل بجانبه:

"أخبرهم أنني ميت. دَعْ العالم يحتفل بالجنازة."

ثم ينظر إلى الشاشة، حيث تظهر إيليا وهي تغادر.

زيرو (بهمس):
"لكنها... ما زالت تشك."
"وهذا ما يجعلها أخطر من الجميع."

زيرو ينهض، يتقدّم نحو نافذة صغيرة تُطل على مدينة نائمة.

"المرحلة الثانية تبدأ الآن."

وقيع زيرو يظهر على الشاشة، هذه المرة ليس بالحبر... بل محفورًا على الزجاج

0

لم تُسجّل الكاميرات موته.
لم يُعثر على بصماته في مكان الجريمة.
حتى جثته... لم تُعرف على وجه اليقين.

قالوا: مات.
لكن الهمسات لا تموت.

في السجون التي فرّت منها الأرواح،
في الملفات التي اختفت من أدراج الأمن،
في العيون التي لا تنام من رجال الظل...

ظلّ الاسم محفورًا: Z E R O
دون وجه، دون ماضٍ، دون توبة.

يوسف تم نقله إلى وحدة أخرى، لكن لم تغمض له عين بعد تلك الليلة.
إيليا... لا تزال تمشي بخطى مترددة بين ضوء الشك وظلال الذنب.
والمنظمات... تتصارع فيما بينها، بعدما فقدت عدواً مشتركاً... أو ربما ما زال يراقب من بعيد.

وفي مكانٍ مجهول...
جلس رجل أمام شاشة، يراقب نشرات الأخبار، يقلب صفحة من كتابٍ لا تُقرأ كلماته إلا بالدم.

ابتسم.
ثم كتب:

"كل نظامٍ يسقط من داخله.
والموت ليس نهاية... بل بداية نظام جديد."

ثم أغلق الجهاز.
ونهض.

صوت خطواته كان خفيفًا كأن الظل نفسه يتحرك.

الضوء خفت.
الباب انغلق.
والعالم استعدّ للكابوس القادم...
لكن لا أحد تجرأ أن يهمس باسمه... من جديد.

Master Zero
— النهاية... أو شيء يشبهها.

بعد أسبوعين من "موت زيرو"، تلقّت وكالات الاستخبارات حول العالم رسالة قصيرة على تردد غير معروف.
لم يُعرف مصدرها، ولم يُرصد توقيتها بدقة، لكنها وصلت كلها في اللحظة نفسها.

الرسالة كانت من كلمتين فقط:

"لم يبدأ بعد."

وفي أسفل الصفحة، بخط أحمر رفيع:

[الملف 002: الأشباح لا تختفي... إنها تتبدّل.]

استودعكم السلامة